

دور المؤسسة التربوية في مواجهة التغريب لدى طلاب التعليم الثانوي

إعداد

إيمان عبدالرحيم سعدالدين عبدالرحيم

إشراف

أ.د. مصطفى محمد رجب أ.د. سهام يس أحمد

أستاذ أصول التربية أستاذ أصول التربية

كلية التربية - جامعة سوهاج كلية التربية - بني سويف

أ.م.د. سلوى حلمي علي

أستاذ أصول التربية المساعد

كلية التربية - جامعة بني سويف

مستخلص الدراسة

يعتبر التغريب من أبرز وأقوى التحديات والمخاطر المعاصرة التي تواجه الأمة العربية؛ لذا كان من الضروري إلقاء الضوء على أهدافه وسماته وبعض آثاره للحفاظ على هوية المجتمع، فحركات التغريب لم تترك صرحاً من صروح الهوية إلا حطت عليه تسطيحاً وتزويراً وتشويهاً سواء أكان لغة أو تراثاً أو فناً أو قيماً، حتى المقدسات الدينية نالتها أيديهم طعنًا وتكذيبًا، وفي المقابل عملت على تنميق الثقافة الغربية لتسد بها الفجوة الفكرية العربية وتكون بديلاً عنها، وكانت المؤسسات التربوية ومدارس التعليم الثانوي على رأس وسائلها لتحقيق أهدافها؛ لذلك استهدفت الدراسة الحالية: التعرف على ماهية التغريب، وتوضيح دور المدرسة لمواجهة التغريب لدى طلاب المرحلة الثانوية، وتم استخدام المنهج الوصفي لتناسبه وطبيعة هذه الدراسة، وتوصلت الدراسة إلى عدة آليات لمواجهة التغريب لدى طلاب مدارس التعليم الثانوي كالتالي:

- هيكلة المناهج وربطها بالدين وتنقيتها من كل ما يقلل من شأن الهوية العربية ويمجد الحضارة الغربية.
- إحياء السيرة النبوية وقصص الأنبياء وسيرة الصحابة وسيرة العلماء العرب وتاريخهم.
- إثراء المكتبة المدرسية بكتب التراث العربي بعد تنقيتها وتنقيحها من كل تشويه وكذب وضلال.
- توعية المعلمين بخطورة التغريب ونقل هذا الشعور لطلابهم من خلال الأنشطة الصفية.

- بيان أثر التغريب السيئ على واقع الناس وضرب الأمثلة على ذلك من واقع المجتمعات الأخرى.
 - تنمية القيم الدينية والاجتماعية والأخلاقية لتعميق انتماء الطلاب لأمتهم الإسلامية.
 - إنهاء الازدواجية في التعليم، وإعطاء المتعلم حصيلة متوازنة من العلوم الثقافية والشرعية.
 - الاهتمام باللغة العربية ووضعتها في مكانها الطبيعي كلغة للدين، ولغة رسمية للأمة العربية.
 - وقف تدريس اللغات الأجنبية في المرحلة الابتدائية؛ فذلك يشنت الطلاب ويضعف ملكاتهم في اللغة العربية.
 - ربط المناهج بالحياة الثقافية للطلاب وحثهم على التبحر في علوم القرآن والحديث والإعجاز العلمي، فتنمي لديهم ملكة كشف التزوير الغربي لتاريخهم وحضارتهم.
 - تنمية القيم الاجتماعية ونشر السلام والمحبة بين الطلاب، مما يقوي هويتهم الدينية والاجتماعية.
 - ربط المناهج بالحياة السياسية لإظهار الحد الفاصل في كيفية التعامل مع دول الغرب وحدود النقل عنهم.
- الكلمات المفتاحية: (مواجهة التغريب، طلاب التعليم الثانوي)

Abstract

Westernization is considered one of the most prominent and powerful contemporary challenges and dangers facing the Arab nation. Therefore, it was necessary to shed light on its goals, characteristics, and some of its effects to preserve the identity of society, Westernization movements did not leave any edifice of identity without flattening, falsifying, and distorting it, whether it was language, heritage, art, or values, Even religious sanctities were challenged and denied at their hands, and in return they worked to embellish Western culture in order to fill the Arab intellectual gap and be an alternative to it, Educational institutions and secondary schools were the main means to achieve their goals. Therefore, the current study aimed to: identify the nature of Westernization, to clarify the role of the school to confront alienation among secondary school students, the descriptive approach was used for its suitability for the nature of this study, The study reached several mechanisms to

confront alienation among secondary school students as follows:

- Structuring curricula, linking them to religion, and purifying them of everything that diminishes Arab identity and glorifies Western civilization.
- Reviving the biography of the Prophet, the stories of the prophets, the biography of the companions, and the biography and history of Arab scholars.
- Enriching the school library with books on the Arab heritage after purifying and revising them from all distortion, lies and misleading.
- Educating teachers about the danger of Westernization and conveying this feeling to their students through classroom activities.

- Explaining the negative impact of Westernization on people's reality and providing examples of this from the reality of other societies.
- Developing religious, social and moral values to deepen students' belonging to their Islamic nation.
- Ending duplication in education, and giving the learner a balanced outcome of cultural and legal sciences.
- Paying attention to the Arabic language and placing it in its natural place as the language of religion and the official language of the Arab nation.
- Stop teaching foreign languages at the primary level; This distracts students and weakens their proficiency in the Arabic language.
- Linking curricula to the cultural life of students and urging them to delve into the sciences of the Qur'an, Hadith, and scientific miracles, thus developing in them the ability to detect Western falsification of their history and civilization.
- Developing social values and spreading peace and love among students, which strengthens their religious and social identity.
- Linking curricula to political life to show the dividing line in how to deal with Western countries and the limits of transferring them.
- **Keywords:** Confronting Westernization; secondary education students

المقدمة

التغريب مرض خطير وداء عضال إذا أصاب الأمة فإنه ينخر في جسدها ولا يتركها حتى يريدها قتيلة بين الأمم، فما أوهن الأمم التي يصاب أفرادها بتبديد جذورهم وهويتهم الوطنية والعربية والدينية وهو في الزمان حادث لا محالة، فالتغريب الثقافي منهج خبيث يركز على تفريغ العقل والقلب من القيم الأساسية المستمدة من التوحيد والأخلاق والإيمان بالله، ودفع هذه القلوب والعقول فارغة أمام عواصف التحرر والانحلال الأخلاقي والانفتاح العالمي اللامحدود لتذويب الهوية وقطع صلة الأفراد بعقيدتهم وهي تجرى اليوم على قدم وساق خاصة في المؤسسة التعليمية عن طريق تخريب المناهج التعليمية وغيرها.

فالتغريب الثقافي فكرة حديثة نشأت وكان أساسها تذويب الشخصية العربية في الشخصية الغربية بحيث لا ترى إلا بالمنظور الغربي ولا تعجب إلا بما يعجب به الغرب، وتبتعد عن قيمها وأخلاقها المستمدة من عقيدتها، ويعتبر الهدف العام من عمليات التغريب هو السعي إلى تغيير المجتمع ثقافيًا واجتماعيًا وأخلاقيًا وفكريًا حسب النموذج الغربي ورفع السيطرة الدينية عنه، فعملية التغريب الثقافي تعتبر خطرًا فاعلاً على خصوصية المجتمعات، فهي تهدد ذاتيتها بما تطرحه من أشكال ثقافية غريبة، وبما تتسم به من سطحية وخداع وتلاعب بالعقول ونشر للأوهام وتوليد للإحساس بالخواء والاستيلاء لدى الأجيال. (لمياء طالة، ٢٠١٤، ص ٣٢)

وعدم قدرة المدرسة على التحكم في العملية التربوية بشكل حازم يؤدي بطلابها إلى انحرافات تغريبية خطيرة تدعو إلى القلق، حيث تتعدد صورته لتصل إلى سلوكيات شاذة وسيئة بين الطلاب تتكرر في المدارس وتنتشر بشكل سريع، مما يحتم الاعتراف بوجود أزمة ترجع في حقيقتها إلى انتشار التحلل القيمي، والانفجار المعرفي وانفتاح على الغرب، وهذا يدل على فشل العملية التعليمية ذاتها وهنا يسهل استدراج الطلاب لتقبل أي ثقافات غريبة أخرى ينتج عنها تغريب ثقافي مجتمعي يهدد هوية المجتمع. (زغلول النجار، ٢٠٠٦، ص ١٦)

وبناء على ما سبق فقد سعت الدراسة الحالية إلى تفعيل دور المؤسسة التربوية لمواجهة التغريب لدى طلاب التعليم الثانوي؛ للارتقاء بالمستوى الفكري والثقافي والاجتماعي والقيمي لهم، ورغبة في استقرار ونهضة المجتمع.

مشكلة الدراسة وأسئلتها

التغريب ظاهرة خطيرة معقدة ذات زوايا متعددة تختلف أسباب نشأتها من بيئة لأخرى بسبب اختلاف الظروف الثقافية والاجتماعية، فهو ليس نتاج شخصية محددة؛ لكن قد يكون منهجاً فكرياً أو نتيجة لتنشئة بيئية غير سوية ينتقيه أفراد تلك البيئة وينجذبون إليه لأسباب اقتصادية أو دينية أو اجتماعية أو أخلاقية، وهو أحد الأمراض الاجتماعية والآفات الأخلاقية التي لها دوراً بارزاً، في هدم الحضارات الإنسانية المختلفة وهويتها، وفي ظل هذا الغزو الجارف من الثقافات التغريبية يجب أن يتحدث الجميع صراحة ويدقوا ناقوس الخطر للتنبيه على مخاطر تلك الثقافات والتي لعبت دوراً كبيراً في إضعاف التراث الثقافي للمجتمع حتى جعلته يعاني من حالة ضعف في أسلوب المقاومة، فالمجتمع اليوم يعاني تغليب الثقافة الغربية في كل مناحي الحياة حتى في مجال التعليم، ومن دلائل ذلك هيمنة الفكر المستورد في المؤسسات التعليمية، ولا سيما بعد وهن وسائل واستراتيجيات التعليم الحالي وتراجعها، فنتج عن ذلك تآكل

معظم القيم والعادات والتقاليد البيئية لدى أفراد المجتمع بشكل أسرع من السابق بكثير وبالأخص لدى فئة الطلاب.

فإذا تأكلت تلك الثوابت الفكرية وانهارت لدى الطالب جعلته متقبلاً لأي ثقافة دخيلة بكل سلاسة حتى وإن تعارضت مع عقيدته وعاداته وتقاليده ومبادئ مجتمعه الأساسية، بل قد تراه يدافع عنها ويحاول نشرها وترسيخها، وهو بعينه ما يحدث الآن، فقد هيمنت ثقافة الغرب على المجتمع العربي وسيطرت على أفرادها فكراً وعقلاً وروحاً، وامتدت جذورها الخبيثة نحو الثوابت الدينية، فلا تكاد تنظر إلى مبدأ أو عادة أو تقليد أو فكرة إلا وتجد ثقافة التغريب قد لحقتها وأناحتها وحلت محلها، مما أفقد الأجيال الحالية اعتزازهم بهويتهم، وأشد ما يدمي القلوب هو رؤية أكثر المنادين بتقبل ذلك هم فئة من المحسوبين على طبقة المفكرين والمنققيين وعلماء الدين؛ فإذا كان ذلك هو الشأن عند هؤلاء فما بال العوام من أفراد المجتمع وما بال الطلاب تجاه هذه الثقافة وذلك التغريب، فالممتنع لهذه الظاهرة داخل المدرسة يجدها تتزايد بين تلك الشريحة العمرية من طلاب مدارس التعليم الثانوي والمدersh أن ضعف المدرسة الحالية وما يعترضها من قصور في مواجهة حالات التغريب وضعف الاعتزاز بالهوية العربية لدى طلابها بل وغياب دورها في معظم الأحيان حولها إلى بيئة خصبة لتفشي مثل هذه الظاهرة بكل صورها.

وقد جاءت عدة دراسات تؤكد ذلك كدراسة: (أسماء منصور جاد عبدالرحمن ٢٠٠٧) بعنوان (دور المؤسسات التربوية تجاه بعض قضايا التغريب الثقافي في المجتمع المصري)، والتي هدفت إلى التعرف على أهم ملامح حركة التغريب المؤثرة في الثقافة العربية، والتعرف على الآثار الثقافية لحركة التغريب الثقافي في المجتمع المصري، ودراسة دور المؤسسات التربوية تجاه قضايا التغريب الثقافي في المجتمع المصري، والوصول إلى تصور مقترح لدور المؤسسات التربوية تجاه بعض قضايا التغريب الثقافي في المجتمع، واعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي، وأعدت الباحثة "استبانة" تم تطبيقها على طلاب المرحلة الثانوية، وأسفرت النتائج عن آثار سلبية للتغريب على الثقافة واللغة العربية تمثلت في نشر اللغات الأجنبية وكافة مظاهر السلوك والعادات والتقاليد الغربية، وعن بعض الآثار التعليمية والاقتصادية لحركة التغريب تمثلت في ضعف الثقافة واللغة العربية داخل المؤسسات التعليمية، وعن قصور المؤسسات التعليمية في الحفاظ على اللغة العربية والتراث الثقافي وعدم تطويره، وهيمنة العادات والتقاليد الغربية ومظاهر السلوك الأجنبية في المجتمع، وأوصت الأسرة بضرورة توفير الرعاية الدينية للأبناء بشتى الطرق لمواجهة التحديات التي تجابه أبناءهم، كما أوصت بضرورة قيام المدرسة بوضع خطة للنمو الثقافي واللغوي لدى الطلاب.

والاعتراف بهذا الواقع يوجب الإقرار بأن هناك تغريباً زلزلاً ثابته المجتمع، ووصل إلى حد التدمير لخصوصيته الثقافية؛ وعدم قدرة المدرسة على الحد منه والسيطرة عليه يزيد من خطورة المشكلة التي يتم رصد أبعادها في الدراسة الحالية لمعرفة ما وراءها من أسباب يكمن معظمها في الابتعاد عن أوامر الدين الحنيف الذي يعلي من شأن القيم والأخلاق والعلم، ومن هنا وجب التصدي العلمي لهذه الظاهرة والبحث فيها بتسليط الضوء على ماهية التغريب الثقافي، ودور المؤسسة التربوية في مواجهته لتحسين الواقع لدى طلاب مدارس التعليم الثانوي بمصر، حتى يمكن الوصول به إلى الشخصية السوية المعترزة بثقافتها.

وفي ضوء ما سبق يمكن صياغة أسئلة البحث على النحو التالي:

١. ما ماهية التغريب الثقافي؟

٢. ما دور المؤسسة التربوية في مواجهة التغريب الثقافي لدى طلاب التعليم الثانوي؟

أهداف الدراسة

تستهدف الدراسة الحالية:

١. الوقوف على ماهية التغريب الثقافي؟

٣. توضيح دور المؤسسة التربوية في مواجهة التغريب الثقافي لدى طلاب التعليم الثانوي؟

أهمية الدراسة

تعد الدراسة مقترحاً علمياً يستفيد منه القائمون على العملية التعليمية في المدارس وأولياء الأمور ومسؤولي القطاع الثقافي ورجال الدين.

وتكمن أهمية الدراسة الحالية في النقاط التالية:

١. تعد الدراسة انعكاساً لما أكدته الدراسات السابقة والتي نادى بضرورة مواجهة التغريب لدى

طلاب مدارس التعليم الثانوي بمصر .

٢. إلقاء الضوء على بعض نقاط الضعف والخلل داخل مدارس التعليم الثانوي بمصر، وتقديم

الحلول والمقترحات التي تعالج جوانب القصور فيها.

٣. انسجامها مع متطلبات العصر، وحاجة المجتمع المصري لمثل هذه النوعية من الدراسات

نظراً لما يمر به المجتمع من تغيرات سريعة ومتلاحقة عالمية وإقليمية ومحلية.

٤. إثراء المكتبة العربية التربوية نظراً لندرة الدراسات التي تناولت التغريب.

٥. مساعدة مدارس التعليم الثانوي بمصر على تربية النشء على مواجهة التغريب .

منهج الدراسة

في هذه الدراسة تم استخدام المنهج الوصفي الذي يعتمد على جمع الحقائق والبيانات وتصنيفها ومعالجتها وتحليلها تحليلًا كافيًا دقيقًا لاستخلاص دلالتها والوصول إلى نتائج أو تعميمات عن الظاهرة محل البحث؛ لكون المنهج الوصفي يتناسب وطبيعة هذه الدراسة.

مصطلحات الدراسة

١. التغريب: (Westernization):

وردت عدة دلالات لغوية لمفهوم التغريب الثقافي منها على سبيل المثال ما ورد في المعجم الوجيز بأن لفظ التغريب مأخوذ من مادة (غ ر ب) يقال غُرب عن وطنه فهو غريب، وغربة: ابتعد عنه فهو غريب وهي غريبة والجمع غرباء وغرائب، وفي الكلام غربة: غمض وخفى فهو غريب، وأغرب في كلامه أتى بالغريب البعيد عن الفهم، وغُرب في الأرض: أمعن فيها فسافر سفرًا بعيدًا، واغترب وتغرب: نزح عن الوطن، واستغرب الشيء: عده غريبًا، والغُربة: النوى والبعد، والغريب: الرجل الذي ليس من القوم ولا من البلد والجمع غرباء. (مجمع اللغة العربية، ١٩٨٩، ص ٤٤٧)، وجاءت مادة "غُرب" في القاموس المحيط وتعني النزوح عن الوطن كالغربة والاغتراب والتغرب، والإغراب: إتيان الغرب والإتيان بالغريب، والإمعان في البلاد كالتغريب، وتغرب أي أتى من الغرب. (القاموس المحيط، ٢٠٠٨، ص ١١٧٨)، وفي معجم اللغة العربية المعاصر فإن التغريب مأخوذ من مادة (غ ر ب) يقال غُرب يُغرب غُروبًا فهو غارب والمفعول مغروب عنه، وغُرب العادات والأخلاق جعلها شاذة، واغتراب مصدر اغترب وهو فقد الإنسان ذاته وشخصيته مما قد يدفعه إلى الثورة كي يستعيد كيانه، وتغريب مصدر غُرب أي نفي الشخص من البلاد من غير تحديد لمحل إقامته، وتغريبية اسم مؤنث منسوب إلى تغريب دعوات، اتجاهات، مخططات تغريبية علمانية، ونزعة تغريبية أي نزعة تميل لتفضيل كل ما هو غربي. (معجم اللغة العربية المعاصر، ٢٠٠٨، ص ١٦٠٢)، وفي معجم "أوكسفورد" وردت "Westernize" وهي تعني إدخال النظم الغربية. (Oxford, 1989, p. 1362).

الدراسات السابقة

ساعدت الدراسات السابقة الباحثة في إلقاء الضوء على مشكلة الدراسة وتحديد أبعادها، واستخلاص أهدافها الرئيسية بدقة؛ لذلك عرضت الباحثة لبعض منها ذات الصلة بالدراسة الحالية كالتالي:

(١) دراسة (المرزوقي على الهادي، ٢٠١٨):

بعنوان: "الغزو الثقافي الغربي: أسبابه ومخاطره ونتائجه"

هدفت الدراسة إلى التنبيه على أن التقليد والتبعية إذا أصيبت بهما أمة تأخرت عن ركب الحضارة، وأنه لا سبيل لنهضة ثقافية إلا عن طريق اللغة، وأن التغريب هو محاكاة الغرب في كل شيء، وأن الغزو الثقافي يسلب الأمة خصوصيتها وتفردتها، وأن الأمة الإسلامية عليها عبء ثقيل في إنقاذ العالم، وتوصلت الدراسة إلى أن الدول الغازية لا تتجح في غزوها الثقافي ولا تحقق ما تصبو إليه إلا إذا كان المجتمع عنده القابلية للغزو؛ لتفكك بنيته الاجتماعية والثقافية وركوده الفكري وغياب المدرسة العقلية الواعية، وأن ثقافة الأمة تتعرض لمختلف أنواع الغزو الثقافي للتشكيك في صلاحيتها لمسيرة التطور ومواكبة المدنية، وأوصت الدراسة بضرورة الحفاظ على المؤسسات الثقافية والتعليمية والإعلامية من تأثير الثقافة الغربية وهيمنتها في عصر العولمة، وأنه على الأمة الإسلامية تحصين أبنائها بالقرآن الكريم من خلال ربط الماضي بالحاضر قال تعالى: (إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً) (سورة الإسراء: ٦)، وأنه على المثقفين أن يأخذوا مكانهم الذي يليق بهم لترشيد المجتمع وتوعيتهم بخطورة ما يحدث حولهم من الصراع على الهوية والذي يمثل خطراً على مستقبلنا ومستقبل الأجيال القادمة.

٢ (دراسة (حسن طالب جنزي، وصفي فالح عبيد، ٢٠١٤):

بعنوان: (ثقافة الطفل بين الهوية والغزو الثقافي)

هدفت الدراسة إلى التعرف على ثقافة الطفل بين خصوصياتها وهويتها وبين تأثير العولمة والغزو الثقافي في تأسيس المفاهيم والأفكار سلماً على الطفل عبر الوسائط والوسائل الناقلة للثقافة، وتوصلت نتائج الدراسة إلى أن الاهتمام بأدب الطفل في العالم العربي قد دخل إليه من باب التبعية أي الغزو الثقافي عبر وسائل الاتصال بجماهير الأطفال المتنوعة والاعتماد على الأفكار المستوردة وسيطرة العولمة على المنتج الثقافي مع عدم وجود الرقيب والناصح والناقد لهذه الأفكار ولهذا الغزو الثقافي، وتوصلت إلى أن التغريب الثقافي يعمل على تجنيس الطفل ثقافياً عبر التطبيع المفتوح المتمثل في وسائل الاتصال المختلفة، وضعف دور التربية والمؤسسات الثقافية في تفعيل الهوية الثقافية للطفل، وأوصت الدراسة بضرورة تفعيل دور المؤسسات الثقافية ودور النشر والاهتمام بمنشورات الطفل، واعتماد اللغة العربية الفصحى المبسطة في مخاطبة الأطفال والكتابة إليهم، والعمل على وضع رصيد لغوي متدرج لكتاب أدب الطفل، والاهتمام بمكتبة الطفل وتوفير الأدوات اللازمة لبناء صرح ثقافة الطفل عبر الموسوعات الثقافية بأنواعها واختصاصاتها العمرية، لأنها تتيح للأطفال فرصاً للقراءة الحرة المتنوعة التي تغذي فكرة التنقيف الذاتي للوصول إلى مفاتيح المعرفة.

٣ (دراسة (بندر مسفر مداوس الشمراني، ٢٠١٤):

بعنوان: (دور المرأة المسلمة في حماية المجتمع من التغريب)

هدفت الدراسة إلى إبراز الدور التربوي الذي تقوم به المرأة المسلمة في حماية المجتمع من التغريب، والتعرف على مفهوم التغريب وأهدافه ووسائله وآثاره على المجتمع وبيان مكانة المرأة في المنهج الإسلامي، وتم استخدام المنهج الوصفي، والمنهج الاستنباطي بهدف الوصول إلى الدور الذي تقوم به المرأة في حماية المجتمع، وأظهرت نتائج الدراسة أن من أبرز الأدوار التربوية التي تحمي بها المرأة أبناءها من التغريب هي: غرس العقيدة الصحيحة في نفوسهم وتعزيز الانتماء للإسلام وأهله، وأن العزة لا تكون إلا بالإيمان بالله والسير على منهج النبي (ﷺ) والتزام جماعة المسلمين، وأن تنشيط البرامج اللاصفية وإقامة المحاضرات والندوات واللقاءات التي ترسخ الهوية الإسلامية وحب الوطن والدفاع عنه والتمسك بجماعة المسلمين؛ لها دورها الإيجابي في حماية بناء المجتمع المسلم، وإن مشاركة المرأة المسلمة الإيجابية والفعالة في مؤسسات المجتمع المختلفة وإقامة الدورات لتأهيل العاملات في مجال الدعوة إلى الله وغيرها من البرامج التدريبية تساهم في حماية المجتمع من التغريب، وقد أوصت الدراسة بتكثيف البرامج التوعوية عن مخاطر التغريب والأفكار المنحرفة لطالبات المدارس والمعاهد والجامعات.

٤ (دراسة (منال مصباح رمضان الزيان، ٢٠١٣):

بعنوان: (التغريب: مخاطره وسبل مواجهته في ضوء الواقع الفلسطيني المعاصر)

هدفت الدراسة إلى بيان مخاطر التغريب في فلسطين وآثاره الأخلاقية والاجتماعية والدينية والثقافية على المجتمع لتعزيز الوعي لدى أفراد الشعب الفلسطيني بخطورة التغريب، ورصد حركة التغريب وجذورها وأسبابها الداخلية والخارجية ورموزها التي تؤيدها وتروج لثقافتها، والكشف عن وسائل التغريب في فلسطين التي تتخذها لتحقيق أهدافها، والتصدي لحركة التغريب ورموزها وفضح التيار الغربي والتحذير منه مع بيان خطره على البلاد وعداوته، واستخدمت الدراسة المنهج التاريخي، الوصفي، التحليلي، التطبيقي، وتم عمل "استبانة" كأداة تم تطبيقها على عينة من المجتمع الفلسطيني بلغ عددهم (٤٥٠) فرداً من الأساتذة والطلاب على صعيد الجامعات الثلاث: الإسلامية والأزهر والأقصى، وأظهرت نتائج الدراسة أن أسباب التغريب ترجع إلى الانفتاح الإعلامي، وأن وسائل التغريب تمثلت من العلمانية والقومية والوطنية وتحرير المرأة والتعليم والمؤسسات الخدمانية والإعلام، وأن حركة التغريب اتخذت من التعليم وسيلة لتحقيق أهدافها، وأن المؤسسات الخدمانية والتمويل الأجنبي قضية خطيرة يجب الحذر منها وهو شكل من أشكال الاستعمار الحديث الذي تحول من احتلال الأرض بقوة السلاح إلى احتلال العقول، ونتج عن التغريب مخاطر عدة منها الانحراف

الفكري والعقدي ونزع العقيدة الإسلامية من نفوس المسلمين، والانحراف الاخلاقي وفقدان الهوية الإسلامية وضياح قسم من أبناء الأمة، وقد أوصت الدراسة بضرورة إنشاء مراكز تعني برصد ومتابعة برامج التغريب ورموزها لتشكيل قاعدة معلومات تكون بداية لإصدار تقارير ودراسات بشأنها.

٥ (دراسة (كمال محمد جاه الله، ٢٠٠٨):

بغنوان: (الغزو الثقافي وأثره على الأمة الإسلامية: دراسة مدخلية)

هدفت الدراسة إلى تسليط الضوء حول مفهوم الغزو الثقافي وخصائصه وأهدافه وآثاره على الأمة الإسلامية، وكيفية مواجهته بالإضافة إلى المفاهيم المتصلة به عضوياً كالعولمة والتغريب، كما هدفت أيضاً إلى عرض نظرية صراع الحضارات وعملية حوار الحضارات؛ بالإضافة إلى دواعي ومبررات ومركزات الحوار مع الغرب وحضارته، وكيفية مواجهة الغزو الثقافي ونظرية صدام الحضارات، واستخدمت الدراسة المنهج الوصفي، وكشفت نتائج الدراسة أن الأمة الإسلامية مثلها مثل الأمم الأخرى تقع تحت تأثير الغزو الثقافي المباشر، وأن المفاهيم ذات العلاقة العضوية بالغزو الثقافي مثل العولمة والتغريب تتفق مع الغزو الثقافي اتفاقاً شبه تام بل ربما تتلاشى الفوارق بينهما حتى يصيرا شيئاً واحداً، وأن الأمة الإسلامية ينتظرها دور كبير لتحديد موقفها من الغزو الثقافي الذي اخترق إعلامها وتعليمها لمواجهة هذا الأمر.

٦ (دراسة (أسماء منصور جاد عبدالرحمن، ٢٠٠٧):

بغنوان: (دور المؤسسات التربوية تجاه بعض قضايا التغريب الثقافي في المجتمع المصري)

هدفت الدراسة إلى التعرف على أهم ملامح حركة التغريب التي تؤثر في الثقافة العربية، والتعرف على الآثار الثقافية لحركة التغريب الثقافي في المجتمع المصري، ودراسة دور المؤسسات التربوية المختلفة تجاه قضايا التغريب الثقافي في المجتمع المصري، والوصول إلى تصور مقترح لدور المؤسسات التربوية تجاه بعض قضايا التغريب الثقافي في المجتمع، واعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي، وأعد الباحث "استبانة" كأداة تم تطبيقها على طلاب المرحلة الثانوية، وأسفرت النتائج عن آثار سلبية للتغريب على الثقافة واللغة العربية تمثلت في نشر اللغات الأجنبية وكافة مظاهر السلوك والعادات والتقاليد الغربية، وأسفرت عن بعض الآثار التعليمية والاقتصادية لحركة التغريب تمثلت في ضعف الثقافة واللغة العربية داخل الأوساط والمؤسسات التعليمية، وأسفرت نتائج الدراسة عن قصور المؤسسات التعليمية في الحفاظ على اللغة العربية والتراث الثقافي وعدم تطويره، وهيمنة العادات والتقاليد الغربية ومظاهر السلوك الأجنبية في المجتمع العربي، وأوصت الدراسة بضرورة توفير الأسرة

الرعاية الدينية للأبناء بشتى الطرق لمواجهة التحديات التي تواجه المسلمين، كما أوصت بضرورة قيام المدرسة بوضع خطة للنمو الثقافي واللغوي لدى الطلاب .

٧ (دراسة (Volk, Lucia 2000):

بعنوان: (without Education between Globalization and Local Culture: A World
Frontiers for Students without Traditions) (التعليم بين العولمة والثقافة المحلية: عالم بلا
حدود لطلاب بلا تقاليد)

هدفت الدراسة إلى الكشف عن أثر العولمة على التعليم في العالم العربي، وأظهرت نتائج الدراسة أن الفحص الأنثروبولوجي عن أثر العولمة على التعليم في العالم العربي له تأثير، وأن التعليم يقف على أرضية وسط غير مريحة بين تغريب الهياكل والفلسفات التعليمية والحفاظ على العادات والتقاليد الوطنية والمحلية، وأن تحول التعليم من وسيلة للحصول على العلوم إلى سلعة في نظام السوق العالمي هو أكثر وضوحاً بين الطبقات الاجتماعية والاقتصادية العليا؛ نظراً لأن الوظائف عالية الأجر اليوم تتطلب السفر الدولي والاتصالات والوعي بالتقدم التكنولوجي وتطبيقها في مكان العمل، وكذلك نتجت عن فقد التعليم دوره كآلة تكامل وطنية وأصبح مشتقاً من السوق العالمية .

تعقيب عام على الدراسات السابقة:

ساهم استعراض الباحثة للدراسات السابقة في مساعدتها على تحديد النقطة التي ستبدأ منها في البرنامج الحالي للدراسة، وكيف تجعل من دراستها ونتائجها نقطة محورية امتداداً لنتائج الدراسات السابقة، وقد خرجت الباحثة بالنقاط التالية التي تناقش أهم ملامح ما جاءت به الدراسات السابقة كالآتي:

- ❖ من حيث الأهداف التي سعت الدراسات السابقة إلى تحقيقها، فقد اتفقت معظم الدراسات السابقة مع الدراسة الحالية في هدفها العام وهو: ضرورة مواجهة التغريب لدى طلاب مدارس العليم الثانوي كدراسة (المرزوقي على الهادي ٢٠١٨)، ودراسة (بندر مسفر مداوس الشمراني ٢٠١٤)، ودراسة (منال مصباح رمضان الزيان ٢٠١٣)، ودراسة (كمال محمد جاء الله ٢٠٠٨)، ودراسة (أسماء منصور جاد عبدالرحمن ٢٠٠٧)، ودراسة (Volk, 2000).
- ❖ واستقادت الباحثة من ذلك في وضع استراتيجية لمواجهة ظاهرة التغريب لدعم الاعتزاز بالهوية العربية لدى طلاب مدارس التعليم الثانوي في ضوء المتغيرات المجتمعية المعاصرة.

- ❖ من حيث المنهج المستخدم فقد استخدمت معظم الدراسات السابقة المنهج الوصفي التحليلي كدراسة: (بندر مسفر مداوس الشمراني ٢٠١٤)، ودراسة (منال مصباح رمضان الزيان ٢٠١٣)، ودراسة (كمال محمد جاه الله ٢٠٠٨)، ودراسة (أسماء منصور جاد عبدالرحمن ٢٠٠٧).
- ❖ واستفادت الباحثة من هذه الدراسات السابقة في تحديد المنهج الذي ستقوم باستخدامه في الدراسة الحالية، وهو المنهج الوصفي الذي يقوم بتحديد الظاهرة ووصفها، ثم وضع العلاج المناسب لها.
- ❖ ومن حيث النتائج: تنوعت نتائج الدراسات السابقة بتنوع الأهداف التي سعت إليها كل منها، فبعضها أكد أن أبرز أدوار التربية التي تحمي بها المرأة أبنائها من التغريب هي: غرس العقيدة الصحيحة في نفوسهم وتعزيز انتمائهم للإسلام، وأن العزة لا تكون إلا بالإيمان بالله والسير على منهج النبي (p) والتزام جماعة المسلمين كدراسة (بندر مسفر مداوس الشمراني ٢٠١٤)، وأن ثقافة الأمة تتعرض لمختلف أنواع الغزو الثقافي للتشكيك في صلاحيتها لمسايرة التطور ومواكبة المدنية كدراسة (المرزوقي على الهادي ٢٠١٨).

الإطار النظري للدراسة

ويتناول مفهوم التغريب، وجذوره التاريخية، وأبرز أهدافه، وأهم سماته، وأثره على المدرسة، وبعض الانعكاسات التربوية المترتبة عليه، وأخيراً اقترح بعض الآليات لمواجهة التغريب لدى طلاب المرحلة الثانوية.

أولاً: مفهوم التغريب

اختلف مفهوم "التغريب" بمفاهيم أخرى كمفهوم الاغتراب أو التحديث وهذا من أهم إشكاليات المناقشة ومساراتها بين المنقذين، فكل منهم يتكلم بألفاظ متعددة للدلالة على معنى واحد فيشتت المتلقي، لذا فقد مست الحاجة إلى تحديد المفاهيم والمصطلحات وفصلها عن بعضها البعض، وفيما يلي تناول لمفهوم التغريب وفق النظرة التاريخية وبحسب وجهات نظر العلماء والباحثين كالتالي:

التغريب لغة: مأخوذ من مادة (غ ر ب) يقال غرّب عن وطنه فهو غريب، وغربة: ابتعد عنه فهو غريب وهي غريبة والجمع غرباء وغرائب، وفي الكلام غرابية: غمض وخفى فهو غريب، واغرب في كلامه أتى بالغريب البعيد عن الفهم، وغرب في الأرض: أمعن فيها فسافر سفيراً بعيداً، واغترب وتغرب: نزح عن الوطن، واستغرب الشيء: عده غريباً، والغربة: النوى والبعد، والغريب: الرجل الذي ليس من القوم ولا من البلد والجمع غرباء. (مجمع اللغة العربية، ١٩٨٩، ص ٤٤٧)، كما وردت

مادة " غُرْب " في القاموس المحيط وتعني النزوح عن الوطن كالغربة والاعتراب والتغرب، والإغراب: إتيان الغرب والإتيان بالغريب، والإمعان في البلاد كالتغريب، وتغرب أي أتى من الغرب . (الفيروز آبادي، ٢٠٠٨، ص ١١٧٨)

وفي معجم اللغة العربية المعاصر مأخوذ من مادة (غ ر ب) يقال غَرَبَ يُغَرِّبُ غُرُوبًا فهو غارب والمفعول مغروب عنه، وغَرَبَ العادات والأخلاق جعلها شاذة، واعتراب مصدر اغترب وهو فقد الإنسان ذاته وشخصيته مما يدفعه إلى الثورة ليستعيد كيانه، وتغريب مصدر غَرَّبَ أي نفي الشخص من البلاد من غير تحديد لمحل إقامته، وتغريبية اسم مؤنث منسوب إلى تغريب دعوات، اتجاهات، مخططات تغريبية علمانية، ونزعة تغريبية أي نزعة تميل لتفضيل كل ما هو غربي. (أحمد مختار عمر وآخرون، ٢٠٠٨، ص ١٦٠٢)

التغريب اصطلاحًا: ويعرف بعدة تعريفات تتفق معظمها في المضمون العام وتختلف في العرض، ففي الاصطلاح الثقافي والفكري المعاصر يطلق غالبًا على حالات التعلق والانبهار والإعجاب والتقليد والمحاكاة للثقافة الغربية والأخذ بالقيم والنظم وأساليب الحياة الغربية؛ بحيث يصبح الفرد أو الجماعة أو المجتمع المسلم الذي له الموقف أو الاتجاه غريبًا في ميوله وعواطفه وعاداته وأساليب حياته وذوقه العام وتوجهاته في الحياة، ينظر إلى الثقافة الغربية وما تشتمل عليه من قيم ونظريات وأساليب حياة نظرة إعجاب وإكبار ويرى في الأخذ بها الطريقة المثلى لتقدم جماعته أو أمته، وعلى ذلك يمكن تعريف التغريب بأنه: "وقوع ثقافة مجتمع ما تحت تأثير ثقافة غربية أقوى منها عن طريق الاحتكاك غير المتوازن؛ بهدف إبعاد هذه الثقافة عن جذورها وتغيير أهم معالمها لتصبح غريبة عن أصولها الاجتماعية التي نشأت وتكونت فيها وميزت مجتمعها عن المجتمعات الأخرى". (حذيفة عبود مهدي السامرائي، ٢٠١٩، ص ٤)

وفي الثقافة الدينية عرفه "سلمان العودة" بأنه نقل القيم الدينية والاجتماعية الخاصة، المتعلقة بالهوية الغربية واستنساخها بخيرها وشرها لبزرها في الأرض العربية والإسلامية، وإن كانت مخالفة للثقافة الإسلامية والثوابت والخصوصية الاجتماعية والهوية الذاتية؛ فالتغريب بوضوح شديد هو نقل القيم الذاتية الغربية إلى المنطقة العربية والإسلامية، حتى ولو خالفت النص والحس والناس أجمعين". (لمياء طالة، ٢٠١٤، ص ١٢)، وعرفه "بشر بن فهد" بأنه "تذويب الأمة المحمدية بحيث تصبح أمة ممسوخة: نسخة مكررة من الامة الغربية، غير أن هناك فرق فالأمة الغربية هي الامة القائدة الحاكمة المتصرفة والأمم الاخرى هي الأمم التابعة المنقادة لما يملأ عليها. (بشر بن فهد البشر، ١٩٩٤، ص ١٢)

وفي معجم السياسة والاجتماع ظهر مصطلح التغرب "westernis" والذي يعني التخلق بأخلاق الغربيين والتشبه بهم في طريقة معيشتهم وأساليب حياتهم، أو بمعنى التفرجة أو الأوربة "Europeanization" وبعد التطور الهائل الذي شهدته الخريطة العالمية بتقسيمها إلى شرق وغرب بعد الحرب العالمية الثانية تطور المصطلح إلى التغريب "Westernization" ولعل أول من استعمل هذا المصطلح من الغربيين هو المستشرق البريطاني "جب" في كتابه "IslamWhithe" الذي ألفه مع جماعة من المستشرقين وتم نشره عام (١٩٣٢)، وأعلن فيه صراحة أن هدفه هو معرفة إلى أي حد وصلت حركة التغريب في الشرق وماهي العوامل التي تحول دون تحقيق هذا التغريب وهكذا تطور المصطلح من التفرجة أو الأوربة إلى التغرب ثم التغريب. (محفوظ علي عزام، ٢٠٠٥، ص ٢٦٢٢) ويعرفه "ممدوح طه" بأنه الاتجاه الكلي نحو الغرب مبنى ومعنى، مظهرًا وجوهرًا، أدوات وغايات؛ بما يشكل استلابًا كاملاً للإرادة وذوبانًا ثقافيًا وحضاريًا وتبعية أو محاكاة أو تقليدًا، الأمر الذي يفضي في النهاية إلى اغتيال الهوية الثقافية والحضارية والوطنية والقومية، وقد يعني أن ليس هناك تلازمًا دائمًا بين المفهومية، فالتحديث لا يعني قطع الصلة بالتاريخ لأنه غير ممكن ولا بين الماضي والمستقبل لأنه مستحيل. (لمياء طالة، ٢٠١٤، ص ١٥)، أما في الحديث الشريف فنجد للمصطلح دلالة مختلفة، فعن أبي هريرة عن النبي (ﷺ) أنه قال: "بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا فطوبى للغرباء، فقيل يا رسول الله: وما الغرباء؟ قال: الذين يحيون ما أمات الناس من سنتي - وفي رواية - الذين يصلحون عند فساد الناس" (صحيح مسلم)، فالتغريب هنا ذا دلالة مختلفة وإيجابية تعني الإقرار بوحدانية الله وحسن الاتصال به (ﷻ)، وهو على المستوى الإنساني العام والخاص يعني: البعد والانفصال عن الأصل والفطرة اعتقادًا أو سلوكًا أو هما معًا، واتباع غربة فكرية وسلوكية بعيدة عن المصدر، وهذا الاغتراب هو الاستلاب الحقيقي للدين مع الفطرة، فالإسلام هنا يقر بأن الريح الأعظم هو انسجام الإنسان مع فطرته القائمة على توحيد الله، والغريب حقًا هو من ليس بينه وبين ربه صلة. (شلتاغ عبود، ٢٠٠١، ص ٢٩)

وفي هذا الإطار يمكن القول بأن التغريب على المستوى الشخصي هو: "استلاب الإنسان من فطرته وانحرافه عن هويته بتبديل ثقافته وعاداته وتقاليده بثقافات وعادات وتقاليد أخرى، وعلى المستوى الجمعي: تحويل المجتمع الشرقي إلى مجتمع غربي مظهرًا وجوهرًا، سلوكًا وعادة، ثقافة وفكرًا، منهجًا وعقيدة؛ حتى تسهل السيطرة عليه وجعله تابعًا على الدوام.

ثانيًا: الجذور التاريخية للتغريب

تتمثل الجذور التاريخية للتغريب في مصر والتي تحددت أهدافها من خلال الاحتكاك المباشر بالمؤسسة التربوية في البعثات العلمية وقد ظهرت بعد فشل الاحتلال العسكري الغربي على الدول العربية واستمرت حتى فترات الاستقلال في العصر الحديث وإلى الآن.

فبعد فشل الحملة الفرنسية (١٧٩٨) على مصر بقيادة "نابليون بونابرت" الذي حاول طمس الهوية العربية وتنحية الشريعة الإسلامية اتجهت فرنسا إلى طرق مختلفة لترسيخ التغريب، فدعمت "محمد علي" ورحبت ببعثاته للطلاب المصريين إلى بلادها لا للتعليم حقيقةً؛ لكن ليكونوا رسل التغيير في مصر. (جميل عبدالله محمد المصري، ٢٠١٨، ص ١٠٥)، ففي مصر الحديثة التي أراد "محمد علي" تأسيسها كانت البعثات المصرية إلى الغرب على رأس اهتماماته فبادر بإرسال العديد من الطلاب إلى فرنسا بغرض الدراسة، وما هي إلا سنوات حتى أصبح هؤلاء المبعوثون يحملون تيارات الفكر الغربي المادية الدخيلة على دينهم، بل والمتناقضة مع عقيدتهم في معظم الأحيان بعد أن جذبتهم عزلة العلم المادي، وما إن عادوا حتى احتلوا مراكز الصدارة والتوجيه بهذا الفكر في مختلف الميادين السياسية والتربوية والثقافية. (زيد بن محمد الرماني، ٢٠٠١، ص ٦١: ٦٢)، وبذلك بدأت فترة "محمد علي" بعملية تغريب طويلة الأمد بشكل خاص فاقتصر منهج استيراد النماذج الغربية في البداية على المجالات العسكرية وحدها، ثم اتسع ليشمل المجالات الإدارية والتعليمية، وبدأت في الانتشار تدريجياً حتى توافقت عملية تحديث الجيش مع أولى الإصلاحات الإدارية التي أنشأت وزارات وهيئات إدارية في الأقاليم لتحقيق هذا الغرض. (برتران بادى، ٢٠١٧، ص ١٨٤)

فالبعثات العلمية إلى الغرب في هذه الفترة سواء أكانت فردية أو حكومية قد أثرت في الجميع كل حسب المنبع الغربي الذي استقى منه ثقافته، فمنهم من تأثر بالفكر الاشتراكي أو الديمقراطية أو الفن والمسرح أو بمبادئ الثورة الفرنسية العامة "الحرية والإخاء والمساواة" على ظاهرها، وأياً كان المنبع فالجميع اهتز لعمق الهوية الحضارية التي تفصل بين الشرق والغرب داخلهم. (سامي السهم، ٢٠٠٦، ص ٨٣)، وظل ذلك حتى عهد الخديوي "إسماعيل" الذي تربى على مبادئ الغرب في فرنسا وترعرع على الحرية المطلقة، وكان أول من تجرأ على الهوية العربية وأحكام التشريع الإسلامي بشكل غير مسبوق في تاريخ مصر. (جميل عبدالله محمد المصري، ٢٠١٨، ص ١٠٥)

وقد مرت حركة التغريب منذ نشأتها وإلى الآن بعدة مراحل تدرجت فيها من مرحلة التغريب البسيط التي تهدف إلى معرفة العالم الآخر (الشرق) عن طريق الاتصالات والتبادل التجاري، ثم إلى مرحلة التغريب المعقد والتي تهدف إلى التطبيع الثقافي التام بين الشرق والغرب، بمنتهى الهدوء والتسلسل رغبة في تحقيق أهدافها دون إثارة حفيظة المجتمعات ضدها كالتالي:

١- **مرحلة التغريب البسيط:** وهي بدايات معرفة الغرب بالشرق، فالاحتكاك بين الشرق والغرب ومعرفة كل من أوروبا والشرق بالآخر كانت تتم في العصور الوسطى عن طريق الاتصالات المتبادلة عبر البحر المتوسط والتي اتسعت في القرن الخامس عشر الميلادي بسبب نمو التبادل التجاري بين أوروبا والشرق، وقد صحب هذه العلاقات نمو في الجانب الثقافي واتساع معرفة الغرب بالشرق، ومن هنا بدأ الغرب يتعرف على تاريخ وتراث ومعارف وأديان العرب. (أحمد عيسى سعيد كردي، ٢٠١١، ص ٨٢٧: ٨٣١)

٢- **مرحلة التغريب المعقد:** وتسمى مرحلة "التطبيع" وكانت في القرن "السابع عشر الميلادي" والتطبيع يعني "محاولة تبني وفهم وتغريب العقل التاريخي العربي"، وتمثل هذه المرحلة أخطر مظاهر الصراع بين الشرق والغرب التي تم فيها النصر الحاسم للغرب على الصعيد الفكري والحضاري. (أحمد عيسى سعيد كردي، ٢٠١١، ص ٨٢٧: ٨٣١)

وهناك من يرى أن حركات التغريب الثقافي مرت بثلاث مراحل حتى تؤدي ثمارها، وهي مرحلة النشأة، ومرحلة التنظيم، ومرحلة المؤسسات تم تنفيذها تدريجياً كالتالي:

المرحلة الأولى: مرحلة النشأة: وهي الأخذ بقشور الحياة الغربية وتقليدها ومن ثم التكيف معها، وتلا هذا اتخاذ الملابس والمساكن والعادات والأخلاق وصيغ الكلام الغربية وكثير من التفاصيل الأخرى الوثيقة الصلة بالسلوك، وأخيراً التكيف مع مظاهر المدنية الغربية بما يلائم الحياة الشرقية، ويكون التأثير هنا عميقاً بما يتناسب مع تعدد النواحي التي يشملها وتمس حياة المجتمع. (هـ. ا. ر. جب وآخرون، ١٩٣٤، ص ٢٠٩).

المرحلة الثانية: مرحلة التنظيم: وهي التي اندرجت فيها مطالب التغريب تحت تجمعات وتنظيمات غربية متحركة وكانت الفكرة الأساسية عندهم تقوم على إصلاح النظم الإسلامية المختلفة دون إخلال بالقواعد الأساسية للعقيدة الإسلامية" وأطلق على المغربين مصلحون !!؟ "ويتضمن برنامجهم التعاون مع الأوروبيين لا معارضتهم في إدخال الحضارة الغربية إلى بلادهم، وتشجيعاً لهؤلاء تم اختيار بعض منهم لشغل مناصب عليا وبهذا صنع المحتل غطاءً من الدعم والمكانة المرموقة لمؤسسين حركة التغريب وترسيخ أهدافها في المجتمع المصري. (محمد حامد الناصر، ٢٠٠١، ص ٧٣)

المرحلة الثالثة: مرحلة المؤسسات: حيث عملت حركات التغريب فيها من خلال المؤسسات، سواء المؤسسات التعليمية أو مؤسسات المجتمع المدني، فبينما كانت الدول العربية في منتصف القرن العشرين تحاول تحرير نفسها عملت القوى الغربية على نقل السلطة فيها إلى فئات معينة من المجتمع العربي قامت على تعليمها وتدريبها وصبغها بأسلوب الحياة على النمط الغربي، وبذلك استمر الغرب

في مؤامراته لزعزعة استقرار الدول العربية تحت غطاء المساعدة الاقتصادية والتعليم الجيد والإصلاحات الاجتماعية. (Rana Zamin Abbas, Muhammad Amin, Zulfqar Ahmad,)، ففي عهد "محمد علي" وتحديداً عام (١٨٢٥) أنشئت المدارس أولاً بغرض خدمة المؤسسات العسكرية، وكان منها المدارس الحربية كمدرسة المشاة، والمدفعية، والمهندسخانة، وانتشرت كذلك في المدن المصرية "لجان المدارس" و "مجالس التعليم العام" التي اختلط فيها المغربون بالمتقنين المصريين، وبذلك تجمعت حول المصريين أول نخبة متغربة ومتأثرة بشدة بأفكار الغرب، وقد روج لذلك أولاً بأنه تحديث إلا أنه في الواقع كان عملية تغريب ممنهجة جرت بداية من المؤسسة التعليمية والعسكرية ثم لحقته باقي الهيئات. (برتران بادي، ٢٠١٧، ص ١٨٤)

وهكذا تم ترسيخ حركة التغريب وتثبيت أركانها داخل المؤسسة التربوية عن طريق البعثات العلمية، لا بهدف التعليم ونقل الخبرات الثقافية بل بهدف التشكيك والتشويه لكل ما يمت للأصالة العربية وجوهرها بصلة، فنتج عن ذلك أجيال من أبناء العرب فتتوا بحضارة الغرب وانخدعوا بها أثناء البعثات، ثم ادعوا لأنفسهم الحق في التجديد بتقليد الغرب، فصار العالم العربي على أيديهم يعاني التبدل الثقافي من الخارج على يد المستعمرين ومن الداخل على يد المتغربين من العرب أنفسهم، وحركة التغريب لم تأت دفعة واحدة بل مرت بمراحل متعددة ممنهجة استغرقت وضع دراسة وخططاً واستراتيجيات متدرجة لم يبال فيها الغرب بطول الوقت، بل بحجم الإنجاز والنتائج المترتبة عليه، فكانت مرحلة التغريب البسيط وهذه كانت لمجرد التعرف، ثم مرحلة التغريب المعقد، وتشعبت لثلاث مراحل: مرحلة النشأة والتي حرصوا فيها على دفع العرب لمجرد الانبهار والتقليد وقد تم لهم ذلك فالنقلة المفاجئة للمبتعثين في أوروبا وما رأوه من زخرفة جعلتهم ينبهرون ويقلدون دون تفكير في ما إذا كان هذا التقليد يوافق أو يعارض عاداتهم أو مبادئهم أو عقيدتهم، ثم جاءت مرحلة التنظيم وهي استغلال هؤلاء المقلدين بعد تعيينهم بمناصب عليا وحساسة في الترويج للغرب وتجميله وتحسينه وتقديمه للمجتمع العربي - المتخلف من وجهة نظرهم - في صورة العالم المتحضر وليس الغازي وبذلك تذوب فكرة الصراع والغزو بينهم وتسهل عملية اعتبارهم قدوة دون حرج، ثم تلتها مرحلة إنشاء المؤسسات المعتمدة التي تخدم أهداف التغريب في العالم العربي بصورة شرعية ظاهرها التطوير والتحسين التعليمي والاقتصادي والاجتماعي وباطنها ترسيخ التغريب بغرض تبعية العرب للغرب.

ثالثاً: أهداف التغريب

يعتبر الهدف العام من عمليات التغريب في مصر هو السعي إلى تغيير المجتمع ثقافيًا واجتماعيًا ودينيًا وفكريًا حسب النموذج الغربي، ونظرًا لاستحالة الوصول لذلك الهدف مباشرة كان لابد من اللجوء إلى خطوات استباقية يمكن من خلالها الوصول إلى هذا الهدف ومنها ما يلي:

١- تشكيك المسلمين في دينهم: فحينما انهزم الغرب وفشل في تحويل المسلمين إلى المسيحية عن طريق التنصير المباشر، لجأ إلى حيلة أخرى غير مباشرة وهي تشكيك المسلمين في دينهم، فكثير من الشبهات التي أثارها حركات التغريب أو من سار على نهجهم من المتغربين العرب كانت تستهدف رواسخ العقدة وأصولها، وليس فقط في المنتسبين إليها، فهي تطعن في مصادر الوحي (القرآن، والسنة) ومناهج التلقي والاستدلال وتطعن في خيار الأمة وقودتها وتشويه سبيل المؤمنين، ويظهر ذلك واضحًا من خلال حملاتهم الطاعنة في كثير من الصحابة وخاصة رواة الحديث الذين نقلوا الدين وأسهموا في إرساء قواعد الحق ومناهج السنة، وكذلك تشويه الخلفاء الراشدين ولمزهم لكبار الأئمة من التابعين، وطعنهم في مناهج حفظ الدين ومصادره التي سلكها العلماء لحفظه. (ناصر عبدالكريم العقل، ٢٠١١، ص ١٩)

٢- تبديل أحكام الشريعة بقوانين وضعية: فعندما حاصرت الأطماع الغربية منطقة الشرق الأوسط وخاصة البلاد العربية واحتلتها بعد تحللها من قيود الكنيسة والدين والإيمان، اجتهدت أن تنقل هذه الصورة من حياتها إلى بلاد العرب المسلمين، وعندما اصطدمت بقوة تعاليم الدين الموروث وتقاليدته الباقية اتجهت إلى إماتة هذا الدين ومحوه من قلوبهم وعقولهم وإبعاد شريعته الربانية وتحقير تقاليده الموروثة وإبداله بقوانين بشرية وضعية توصل لهذا التحلل الديني وتقضي به، وقد تم لهم ذلك على الرغم من تعارض هذه القوانين الوضعية مع الأحكام الشرعية المطبقة عند المسلمين العرب. (محمد الغزالي، ٢٠٠٥، ص ١٢)

٣- تهمة دور الأزهر الشريف ومحاربة ثوابته: يقول الدكتور يحيى إسماعيل: كان الأزهر الشريف لمصر بمنزلة الروح من الجسد وهو للعالم الإسلامي والعربي درة التاج لجبينه والعافية لدينه، فبه صان الله لهم الدين وأسبغ عليهم النعمة، فلم تعرف الأمة التطرف من بعض أبنائها ولم يظهر الإرهاب بين صفوفها إلا بعد أن أدارت ظهرها له وغفلت عن حقها عليها، بل وقامت الحركات التغريبية بوسائلها المختلفة إلى طمس الهوية الإسلامية بتشويه صورة الأزهر مما أدى إلى اهتزاز صورة عالم الدين في قلوب وعقول الأجيال المتعاقبة وصار النيل من الإسلام وأهله بحجة الإبداع والفن والفكاهة وغير ذلك من السخافات واقتحمت على الناس بيوتهم يشوهون الدين وأهله تارة

بالسخرية من رجل الدين وتارات من الشباب النقي الطاهر. (جاسم بن محمد بن المهلهل الياسين، ٢٠١٢، ص ١٧٩)

٤- **تفتيت وحدة العرب المسلمين:** وبهذه الخطوة عملت الحركات التغريبية على تحطيم وحدة الأمة العربية الإسلامية وتمزيقها إلى قوميات وإقليميات وأقطار تحت مسميات مختلفة، وركزت على إبراز الخلافات بينها، فأعلنت من شأن الفرق والأحزاب والمذاهب في الدين الواحد، وغرست كيانات دخيلة في المنطقة العربية لتدعيم ذلك، ودعت الجميع إلى المطالبة بأوطان مستقلة، ورسم حدود فاصلة، ثم حرصتها على الخلاف والصراع فيما بينها على تلك الحدود، وكان الهدف هو تمزيق الكيان العربي الواحد وقطع كل السبل المؤدية إلى تجمعهم تحت راية أو قضية أو سياسة واحدة. (أنور الجندي، د.ت)، ص ٦٣، فتفتيت وحدة الشعوب العربية بالنسبة للمغربين كان ولا يزال من أهدافهم الرئيسية، يقول "لورانس براون" في كتابه "الإسلام والإرساليات": "إذا اتحد المسلمون في إمبراطورية عربية أمكن أن يصبحوا لعنة على العالم وخطرًا، وإذا بقوا متفرقين فسيظلون بلا قوة وبلا تأثير. (محمد حامد الناصر، ٢٠٠١، ص ٩٨)

٥- **تبديل العادات والتقاليد العربية بعادات وتقاليد غربية:** فالحركات التغريبية عملت بكل قوتها على نشر الثقافة الغربية في الوطن العربي بمختلف صورها وميادينها، لخلق شخصية عربية لا تفهم في واقعها شيء ولا يهتمها سوى تقليد الغرب، والإشادة به وبتعاليمه ونظمه وحضارته وكل المقومات التي يتميز بها عن المجتمع العربي وإن خالفت القيم والعادات العربية (حذيفة عبود مهدي السامرائي، ٢٠١٩، ص ١٣)، التي هي من نتاج المجتمع وثقافته، وإن أخطر ما يواجه المجتمع العربي الآن هو التحرر من هذه العادات والتقاليد التي اعتاد على التعامل بها وكأنها مسلمات وأسلوب حياة أصيل وإغفال مدى انفاقها أو معارضتها لجوهر شخصيته، والأخطر منه محاولة المضللون الربط بين الأخذ بالعلوم وتكنولوجيا العصر وبين اتباع أسلوب الحياة الغربي بكل علله في أذهان الأجيال وتلك هي المعضلة. (أنور الجندي، ١٩٧٨، ص ٤١٠: ٤٢٥)، فالتغريب يبدأ من إقناع الأمة العربية بأنها أمة متخلفة في جوهرها متخلفة في تاريخها وصميم تكوينها، ومن ثم فلا بد من انسلاخها تمامًا عن كل ما يربطها بماضيها ويميز ذاتها بما فيه من عادات وتقاليد، ومن ثم إعادة تشكيل أفراد مجتمعها على الطراز الغربي من ناحية القيم والعادات والتقاليد والمظاهر السلوكية مع الحرص على إبقاء هذا المجتمع متخلفًا عاجزًا عن اكتساب أي معرفة جديدة، فإذا ما اكتسب بعض أفراد هذه المعرفة يجدون أنفسهم عاطلين في مجتمعهم فيضطرون إلى النزوح لعالم المتفوقين في الغرب، وهنا تكمن خطورة

التغريب لأنه يخرق منظومة القيم الاجتماعية المرتبطة بالمرجعية الإسلامية العليا. (محمد عبدالعزيز عرموش، ٢٠٢١، ص ١٥)

٦- إفساد المنظومة التعليمية: فساحة التعليم من أفضل ساحات التغريب الثقافي الجماعي المنظم والهادئ الذي يؤتي نتائج مذهلة على المدى البعيد، وقد أدركت الحركات الغربية هذه الحقيقة فاستغلته ورصدت لها المال والقوى البشرية المدربة، ونظمت لها المناهج التي تهدف إلى إعادة صياغة عقلية الأمة وروحها صياغة تتخلّى فيها عن مقوماتها الأساسية في الدين والعادات واللغة لتدوب في مقومات الحضارة الغربية، ولم يكن الأمر سهلاً، فتغيير الإنسان داخلياً يحتاج إلى خطط صابرة لاستغلال الأجيال القادمة من طلاب المدارس والجامعات، وقد جرى ذلك على مرحلتين، الأولى: تفرغ العقل من كل محتوياته العقيدية والفكرية والسلوكية والتراثية والمعاصرة، والثانية: عملية بناء جديد تقتضي ملء هذا الفراغ بقيم غربية في النظر للحياة والعقيدة والسلوك. (شلتاغ عبود، ٢٠٠١، ص ٨٨)، ويدعوى الانفتاح سمحت مجموعة من دول العالم العربي بإنشاء المدارس والمعاهد الأجنبية ومدارس التبشير والإرساليات وفي ذلك فرصة عظيمة لبث سمومها ونشر كذبها، ومن العجيب أن هذه المدارس والمعاهد تعمل بحرية تامة وتوفر لها الحصانة القانونية الكاملة، ويتخرج منها أناس أكثر تفتح أمامهم فرص التشغيل في معظم المجالات الحيوية؟! (فريد محمد أمعشوش، ٢٠١١)، وقد لخص "محمد حسين هيكّل" هذه الأهداف في ثلاث نقاط هي: قطع صلة الشرق بماضيه قدر المستطاع في كل النواحي، وقطع صلة العقيدة والتفكير بين الماضي والحاضر، وصبغ ماضي الشرق بلون قاتم بحيث يرغب أهله عنه ويرون فيه عاراً عليهم، وأن يصبح الشرق عيالاً على الغرب يتطلع إليه في إعجاب وتقدير، ويرون في خضوعهم له شرفاً لا يدانيه شرف. (محمود علي عزام، ٢٠٠٥، ص ٢٦٢٦)

وهكذا يمكن ملاحظة الصبر الطويل وكذلك الإصرار العجيب عند الحركات التغريبية لتحقيق هدفها في جعل العرب تابعاً للغرب، وكذلك نلاحظ الدراسة المتعمقة لحال العرب لرصد مناطق القوة والضعف فيهم، فحينما وجدت أن العقيدة هي حائط الصد التي تحول بينهم وبين العرب عملوا على التشكيك فيها حتى أننا نجد الآن من بعض المنتسبين للإسلام من يتناول على القرآن وينكر الحديث ويشكك في رواته ويستبعد الاستدلال به، ولما نجح الغرب في هذه النقطة تقدموا إلى التي تليها وهي تبديل أحكام القرآن والسنة بأحكام وضعية تخدم أهدافهم، وعلى الرغم من جهدهم العظيم في ذلك إلا أن السور العظيم المتمثل في وحدة العرب كأمة واحدة لا يزال يمثل غصة في حلقهم، فاتجهوا إلى تقنيت هذه الوحدة عن طريق الاستعمار تارة أو عن طريق إحياء القوميات ورسم الحدود الفاصلة تارة

أخرى، وقد نجحوا في ذلك خلال المائة سنة الماضية، ثم لم يبق أمامهم سوى أن يتشبه أفراد الأمة العربية بالغرب في ثقافتهم وعاداتهم وتقاليدهم وسلوكهم العام في المأكل والمشرب والملبس ليس هذا فحسب، بل والإشادة بحضارة الغرب عن طريق أسنة عربية، وفي آخر المطاف اتجه الغرب لهدم آخر صرح للأمة العربية يمكنها من خلاله إعادة هيكلة نفسها ألا وهو التعليم، إلا أن الحركات التغريبية لم تكن تسمح لها بذلك، فاتجهت فوراً إلى المؤسسات التعليمية وأنشأت المدارس والمعاهد والجامعات ذات الطراز الغربي والمنهج الغربي الذي يتم ترسيخه في عقول شباب الأمة منذ سنواته التعليمية الأولى فينشأ عربي المولد غربي الطباع والسليقة وهذا هو مراد الغرب.

رابعاً: سمات التغريب

اتسمت حركة التغريب الثقافي بعدة سمات منظمة ساعدتها في التغلغل لعمق المجتمع العربي بصفة عامة والمصري بصفة خاصة وفق آليات محددة وبرامج مجدولة، مع التوزيع المتنن للأدوار لكل أتباعها أو المؤمنين بفكرها والحرص على تنفيذ هذه الأدوار بهدوء وحرص شديد جداً حتى لا يثير حفيظة المجتمع هادفة إلى تحقيق غاياتها والتي هي في المقام الأول تبعية الشرق للغرب وهي كالتالي:

١- **التنظيم والتدرج:** فالمتتبع لحركات التغريب الثقافي يجدها تتطلق وفق نظام وآليات محددة وبرامج مجدولة، فأفرادها يعملون في وقت موحد ضمن إطار موضوعات موحدة بأسلوب واحد تردد فيه الأفكار نفسها وأحياناً بكلمات موحدة أيضاً وهي أثناء ذلك تعمل بتدرج، فهي تسعى لتحقيق أهدافها بعيداً عن إثارة المجتمع، لذلك نجدها تعمل بتدرج وهدوء تام فمثلاً في قضية المرأة، تبدأ أولاً بالدعوة لتعليمها وهو هدف سامي، فإذا استقر الأمر دعت لإلحاقها بسوق العمل، ثم دعت لسفورها إلى أن تصل لمرحلة نزع عقيدتها ووظيفتها الأساسية وهي رعاية بيتها وأبنائها، ولا يهم إن استغرق الأمر سنين مادامت الأهداف ستتحقق. (عبدالعزیز بن أحمد البداح، ٢٠١٠، ص ٤٥٠: ٤٦٢)

٢- **دعم رموزها وإقصاء معارضيها:** بأكثر من شكل فأحياناً بالتوجيه المباشر وأحياناً بالمناصرة وأحياناً بالتكريم، وذلك واضح تماماً كما يحدث مع الممثلين والمخرجين وكتاب الروايات الهابطة وذوي الأفكار السطحية من الإعلاميين وكل من هو معارض لأي عادات وتقاليد وقيم، ففي كل عمل جائزة وتكريم وصحف تتطاير بالأخبار عن إنجازاتهم التي لم يسبقهم إليها أحد !!، وأما عن الإقصاء فحركات التغريب كانت لا تتقبل الحوار وترفض المناقشة وتسفه الرأي الآخر وتفضل إبقاء الساحة فارغة من كل معارض لأفكارها، وساعدها على ذلك سيطرتها على معظم وسائل الإعلام، فحجبوا كل

مقال وكل كاتب وكل كتاب لا يتفق مع رؤيتهم، بل وتعرضت له بالتشويه. (عبدالعزیز بن أحمد البداح، ٢٠١٠، ص ٤٦٧: ٤٧٢)

٣- الجهل والتجاهل: (الجهل بأحكام الشريعة، وتجاهل مشكلات المجتمع)، فمن يطلع على السيرة الذاتية لمعظم المغريين يجد أنهم استقوا تعليمهم من الغرب وشربوا من أفكاره، ومذاهبهم كانت الشيوعية والماركسية والرأسمالية وغيرها، فمن كانت هذه نشأته وحياته هل يعرف أحكاماً شرعية وتشريعات إسلامية فضلاً عن تطبيقها؟!، وكذلك التجاهل المتعمد لمشكلات المجتمع الحقيقية: كزيادة نسبة الفقر وبطالة الشباب وأسباب العنوسة وارتفاع معدل الجريمة وعمالة الأطفال وغيرها، وتجاهل الحركات التغريبية لهذه المشكلات يكشف عن وجهها القبيح وصورتها الكالحة. (عبدالعزیز بن أحمد البداح، ص ٤٧٨: ٤٨٢)

وهكذا تجد أن حركة التغريب هي حركة منظمة تنطلق في عملها وفق خطط محددة تتسم أحياناً بالهدوء والتدرج، وأحياناً بالدعم المالي أو المعنوي لمؤيديها، وأحياناً أخرى بالعنف الفكري المتمثل في إقصاء الغير المخالف لأفكارها أو المعرقل لأهدافها، وفي كل الأحوال هي حركات تجهل أو بمعنى أصح تتجاهل الأحكام الشرعية التي يؤمن بها المجتمع العربي ويجعلها قانوناً لحل مشكلاته.

خامساً: المدرسة والتغريب

تطورت حركات التغريب في مسيرتها لتحقيق أهدافها عبر وسائط متعددة لعل من أهمها وفي المقدمة منها المؤسسات التعليمية، والمناهج التربوية، والتراث العربي، واللغة العربية، ولم تغفل وسائل الإعلام بمختلف مجالاته وقنواته للوصول إلى أهدافها وغاياتها، وفي السطور التالية تفصيل لبعض مظاهر التغريب عبر هذه الوسائط كالتالي:

١- المؤسسات التعليمية: لقد أدركت حركات التغريب أن التعليم هو الحصن المانع الذي إن تصدع سقط المجتمع، فنفذت عن طريقه إلى أفراد المجتمع واستطاعت من خلاله نشر بذور التغريب، وقد بدأت هذه الهجمة الشرسة من سنين طويلة مرت بإنشاء عدد من المدارس والجامعات التابعة للغرب. فالمؤسسات التعليمية من أخطر وسائل التغريب أثراً، استغلته حركات التغريب لتحقيق أهدافها وأنفقت الأموال الطائلة على المدارس التي أنشأتها في الدول العربية خلال فترة الاستعمار وحتى بعد الاستقلال، كمدارس الإرساليات التي احتوت على مناهج ذات محتوى غربي قيماً وسلوكاً، مليئة بالظعن في الإسلام والمسلمين، حيث عملت حركات التغريب بتركيز شديد جداً على المدارس في الدول العربية ليس فقط في الحركات التربوية بل وفي الحركات الاجتماعية والدينية والمنظمات غير الحكومية، وقدمت لها الدعم الكامل شريطة تدريس مناهج التعليم على طريقة الأفكار والثقافات

الغربية، لأنها تعلم دور التعليم في تشكيل العقول. (Rana Zamin Abbas, Muhammad) (Amin, Zulfqar Ahmad, 2011)

يقول "جب" متحدثاً مشيراً إلى أثر هذه المدارس على عقيدة الطلاب وأذواقهم وتحول أفكارهم تدريجياً نحو الغرب "هذه المدارس صاغت أخلاق التلاميذ وكونت ذوقهم والأهم أنها علمتهم اللغات الأوروبية التي جعلتهم قادرين على الاتصال المباشر بالفكر الأوروبي فصاروا في مستقبل حياتهم مستعدين للتأثر بالمؤثرات التي فعلت فيهم فعلها أيام الطفولة". (هـ. ا. ر. جب وآخرون، ١٩٣٤. ص ٣٧) واستمرت هذه الخطط حتى أصبح التعليم لا يتعدى أن يكون تعليمًا لفظيًا لا يساهم في إعادة بناء الوطن، تعليم غير حر في أساليبه ومحتوياته وأهدافه، تعليم يخدم الصفوة فقط ويعمل ضد مصالح الغالبية، تعليم ينمي الإحساس بالدونية عند المتعلمين نتيجة الفشل والابتعاد عن التعليم الجيد، تعليم يقضي على روح الابتكار والإبداع لدى الأجيال، وفي ذلك يشهد "كلابريد" خبير التربية السويسري الذي زار مصر في الفترة من العام (١٩٢٩) حين قال: "ضحينا بالتربية في سبيل التعليم، فلم نجن ثمرة لا من تربية ولا من تعليم"، فقد انصرفت الحياة الاجتماعية في المدرسة المصرية إلى ضرب جديد من العبادة هو عبادة الورقة المسماة شهادة. (سامي السهم، ٢٠٠٦، ص ١٣١ : ١٣٣) فأصبح يلاحظ على الأجيال الحالية من طلاب المدارس الاستغراق في العبث واللغو وضعف احترام الواجبات والعادات والتقاليد وقلة الاستحياء من المواقف المخجلة البعيدة عن أعراف المجتمع وهويته وفي هذا ما فيه من الانحلال، ويرجع هذا إلى عملية التغريب الممنهجة فالمدينة الحديثة المستوردة من الغرب بما فيها من انتكاسات أخلاقية واجتماعية أدت إلى رغبة الكثير من الطلاب في المحاكاة والتأسي بهم والتذمر من حياة الجد والمسؤولية الاجتماعية فانصرفوا عن الكتب الأخلاقية والاجتماعية والأدب الرفيع ونصائح العلماء والمعلمين وأصبحوا فقط مقلدين لكل من وما هو جديد وغربي. (صلاح عبدالقادر البكري، ٢٠٢١، ص ٤١)

أجل إن التعليم المعاصر في المدارس الحالية بشكله التغريبي ما هو إلا قتل جماعي لأمة كاملة لكنه يقع بأسلوب هادئ دونما إثارة أي ردود لأفعال حاضرة أو مستقبلية، وهذا هو الميدان الخطير الذي وجد فيه التغريب مجاله الخصب وحقق فيه أهدافه، فأصبحت الأمة غير الأمة والماضي غير الماضي في أذهان الأجيال وصار الحاضر مرفوضاً ومغضوباً عليه، لأنه غير منسجم مع ما عليه الغرب من حضارة. (شلتاغ عبود، ٢٠٠١، ص ٩٣ : ٩٦)، فالنظام التربوي كأحد أهم منابع الرئيسية للتغريب أصبح يغلب عليه الصبغة الغربية، والنظام التغريبي استعمل آليات التربية من مدارس وجامعات واستغلها للقيام بدور رئيسي ومقصود في توجيه التعليم العربي وتقديمه للطلاب من

منظور غربي بحث، فالملاحظ لبرامج التربية في المدارس يجدها تتجاهل في معظم الأحيان الثقافة الدينية، لأنها تقوي فكرة الانتماء الديني والقومي مما يدعم الاغتراب وكذلك الجامعات حيث نجد معظمها يعطي قدرًا ضئيلاً للتربية الدينية مقارنة بما يتم تخصيصه للنظريات والأفكار والمذاهب الغربية، حتى أصبحت المؤسسات التعليمية في كثير من الأحيان عبارة عن وسائل طمس للهوية العربية. (يزيد عيسى السورطي، ٢٠٠٣)

يقول طه حسين: "والتعليم عندنا على أي نحو قد أقمنا صروحه ووضعنا مناهجه وبرامجه منذ القرن الماضي على النحو الأوروبي الخالص ما في ذلك شك ولا نزاع، نحن نكون أبناءنا في مدارسنا الأولية والثانوية والعالية تكويناً أوروبياً لا تشوبه شائبة، فلو أن عقول آبائنا وأجدادنا كانت شرقية مخالفة في جوهرها وطبيعتها للعقل الأوروبي، فقد وضعنا في رؤوس أبناءنا عقولاً أوروبية في جوهرها وطبيعتها وفي مذاهب تفكيرها وأنحاء حكمها على الأشياء". (طه حسين، ١٩٣٨، ص ٣٤)، ويستخلص من ذلك أن كل هذا يدل على أننا في هذا العصر الحديث نريد أن نتصل بأوروبا اتصالاً يزداد قوة من يوم إلى يوم حتى نصبح جزءاً منها لفظاً ومعنى وحقيقة وشكلاً. (فتحي سباق أبو سمرة عابد، ٢٠٢١، ص ٧٠)

فالتحول من المناهج والأهداف التعليمية التقليدية الشرقية إلى المناهج والأهداف التعليمية الغربية الحديثة يوضح أن إدخال أي تغيير حتى وإن كان بعيد المدى فإنه سيتحقق بسهولة إذا سبقه الإعداد الجيد والتدرج من خلال البدايات البسيطة والنمو البطيء للمؤسسات التعليمية في الشرق وهذا ما اتبعته حركات التغريب، في الوقت الذي لم يكن هناك سوى مقاومة ضئيلة من جانب بعض القوى لوقف هذا التيار التغريبي على عقول الطلاب، وهكذا تم استغلال المناهج التعليمية من قبل القوى الغربية لفرض عملية التغريب على البلاد، ومن هنا يجب التنبيه لذلك والعمل على تنقية المواد التعليمية، وإعداد مناهج ترسخ ثقافة المجتمع وتكفل تنشئة جيل يحافظ على هويته العربية. (التابعي، ١٩٩٨، ص ٣٩٣)

وهكذا نفذت حركات التغريب إلى المجتمع العربي من خلال التعليم فكان أول الأبنية الحصينة التي عملت على هدمها، ولم تبخل في سبيل ذلك لا بمال ولا بجهد، فأنشأت المدارس المتناقضة مع المدارس الوطنية والدينية، ووظفت العديد من الأفراد التابعين لها للتدريس فيها ونشر أفكارها، وتشكيل عقول جديدة في مهدها؛ تعمل فيما بعد على خدمة أهدافها وتأخذ دور البديل، وقد كان لهم ذلك بعد، فنشأ جيل من الطلاب سطحي مذبذب الشخصية لا هو عربي المعتقد ولا هو غربي الهوية.

٢- اللغة العربية: وهي إحدى أهم المحطات التي سقطت عليها حركات التغريب تسطيحاً وإقصاء، فباعتبارها إحدى أهم وسائل اتصال الأجيال الحاضرة بالماضية والتعلم منها والأخذ عنها، وباعتبارها المورد الوحيد لفهم القرآن الكريم، وباعتبارها المانع والمعرقل لنفاذ أهدافها في عمق العقل العربي، لذلك فقد عملت حركات التغريب على هدم هذا الصرح العظيم بكل الطرق والحيل كالتالي:

اللغة وسيلة من وسائل الاتصال بين البشر يعبر بها الفرد عن أفكاره ومشاعره وانفعالاته، ويمكنه من خلالها التواصل مع الآخرين وفهم ما يريدون، ويعبر بها عن احتياجاته ومشكلاته واتجاهاته، وهي وسيلة هامة لتطوير شخصية الفرد وأفكاره معارفه؛ فهي وسيلة لنقل التراث الثقافي والحضاري عبر الزمن، فاللغة بوجه عام كائن حي يحيا على ألسنة المتكلمين بها؛ لذلك فهي تتطور وتتغير بفعل الزمن كما يتطور ويتغير الكائن الحي تماماً، ومن ثم فإن تخلفها أو تطورها يرتبط جدلاً بحالة الإنسان، فاللغة مرآة المجتمع التي تعكس ثقافته وقيمه وعقيدته. (بوجمعة وعلي، ٢٠١٨، ص ١٨)، واللغة العربية بالنسبة للأمة العربية لها وظيفة دينية فوق وظيفتها الاجتماعية والقومية، فهي أقرب اللغات إلى اللسان العربي الذي نزل به القرآن الكريم، وهي لغة الدين بكل ما يعنيه من فقه وعبادات ومعاملات وعلوم وحضارة، فهي ليست فقط لغة ارتباط ووسيلة اتصال لكنها أساساً لغة الوحي والعقيدة، ولذلك يمكن حقاً أن يُقال إن "معرفة اللغة العربية هي الدين". (G. E. Von Grunebaum, 2021, p 8)

لقد تطورت اللغة العربية بفضل الدين الإسلامي وحملت توجيهاته وصورت الأمة العربية على مدى عدة قرون دون أن تعرف الضعف والعجز عن استيعاب حضارات الأمم فترات طويلة من الزمن؛ حتى وهنت الأمة العربية في مرحلة اصطدامها بالأطماع الغربية وتصارعها معها وأصبحت هدفاً من أهداف التغريب، فقد أدرك الغرب أن اللغة العربية رمز لعزة الأمة وكرامتها، فبدأ بفرض حرب نفسية توحى بأن اللغة العربية لغة جامدة لا ترقى إلى مستوى الحضرة وأنها تنتمي إلى أمة متخلفة، ولا يمكنها مواكبة مسيرة التقدم العلمي المعاصر، ولعل من أخطر المنافذ التي تسللت من خلالها يد التغريب الخبيثة تلك الدعوى إلى اللهجة العامية واستعمالها في البلدان العربية بدلاً من العربية الفصحى. (شلتاغ عبود، ٢٠٠١، ص ١٠٩: ١١١)

ففي مطلع القرن العشرين أخذ الغربيون ينشرون كتبهم ودراساتهم المتتابعة في العامية المصرية وكان معظمهم من الذين عاشوا في مصر وتولوا فيها مناصب عليا، ومنهم دكتور "ولهلم سبيتا" الألماني، وكان مديراً لدار الكتب وهو صاحب كتاب (قواعد العربية العامية في مصر ١٨٨٠)، ويعتبر "سبيتا" الرائد الأول لكل من كتب في اللهجة العامية المصرية. (نفوسة زكريا سعيد، ١٩٦٤، ص ١٧)،

وأول المنادين بهذه الدعوة حيث وضع حروفاً إفرنجية للهجة العامية المصرية وألف كتاباً في حروفها وقواعدها نشره بالفرنسية والألمانية لترغيب الأوروبيين في تنفيذ مشروع تعليم العامية وجعلها لغة التعليم في مصر. (سامي السهم، ٢٠٠٦، ص ٢٤٨)، ومن بعده "كارل فولرس" الألماني مدير دار الكتب المصرية آنذاك وصاحب كتاب (اللهجة العربية الحديثة في مصر ١٨٩٠)، والذي تبع نهج "سبيتا" فاستتب حروفاً لاتينية لكتابة العامية، ثم "سلدن ولمور" الإنجليزي وكان قاضياً في المحاكم الأهلية، وهو صاحب كتاب (العربية المحكية في مصر ١٩٠١) والذي دعم تلك الدعوة واستغلها ليحقق هدفاً من أهداف التغريب وهو فصل المسلمين والعرب عن ماضيهم وتفتيت وحدتهم بالقضاء على العربية الفصحى، ثم "باول" الإنجليزي والذي كان يعمل قاضياً بالقاهرة، و زميله "فيلوت" أستاذ اللغات الشرقية في جامعتي (كمبرج، كلكتا)، حيث اشتركا معاً في وضع كتاب (المقتضب في عربية مصر ١٩٢٦)؛ لتسهيل دراسة العامية المصرية بوضع تمارين على القراءة العامية والنطق بها، وفي محاضرة خطيرة لوزير الري الإنجليزي بالقاهرة "وليم ولكوكس" بعنوان (لَمْ تَوجد قوة الاختراع لدى المصريين الآن ١٨٩٣) بنادي الأزيكية زعم أن أهم عائق يمنع المصريين من الاختراع هو تمسكهم بالفصحى فلو أنهم استبدلوها بالعامية لأعانهم ذلك على إيجاد ملكة الاختراع والابتكار وتنميتها. (نفوسة زكريا سعيد، ١٩٦٤، ص ٢٤: ٣٢)، وأرجع السبب في ذلك أنهم يؤلفون كتبهم بلغة عربية صعبة مثل الجبل - من وجهة نظره - فمجرد وضع أفكارهم بها في الكتب تموت ولم تعد تحيا، فكأنهم يكفنونها في الورق ويدفنونها في جلود الكتب. (سامي السهم، ٢٠٠٦، ص ٢٤٨)

واستمر الغرب على هذا المنوال حتى أدخلوا في روع الناس أن العربية لغة صعبة على التعلم وأنها لغة قديمة وقواعدها بائدة لا علاقة لها بالتطور ولا يمكن لها التعبير عن علوم العصر، وتحت هذه الدعاوي الباطلة روج الاستعمار للدعوة إلى العامية والكتابة بها، ورغم أن اللغة العربية من أسهل اللغات تعلماً إلا أن إضعاف الإحساس بالانتماء للعروبة من قبل المغربين قد ساهم في إزكاء هذا الوهم بقصد أو بدون قصد بعض المهتمين بالعربية ذاتهم حين اعتقدوا أن النحو والإعراب وحفظ الألفية ضرورة لهضم قواعد اللغة، والحقيقة أن هذا كله لا يتعدى إلا أن يكون سياجاً واقياً لحفظ اللغة يحتاج فقط أن يقدم بصورة تليق بها، أما تعلم العربية ذاته فقد يتم من خلال النصوص قراءة ومنهجاً وبحثاً واستقصاءً. (بليغ حمدي إسماعيل، ٢٠٢١، ص ١٣٦)، ليس هذا فحسب بل صارت الخطط التغريبية على تهميش اللغة العربية كلياً، حيث شهدت الفترة التالية للاستعمار ظهور اتجاه يدعو إلى اعتماد لغات أجنبية في التعليم والعلوم والرياضيات، فحاول الكثيرون إضفاء الطابع الرسمي وتعزيز الممارسات للغات الأجنبية في المدارس والجامعات من خلال تبنيها كوسيلة للتعليم في كل أنحاء

الوطن العربي، فهم يزعمون أن في عصر العولمة والتواصل الجماهيري وعصر المعلومات والتكنولوجيا الرقمية تصبح اللغة الأجنبية ضرورة وليس ترفاً، أما بالنسبة لدور اللغة العربية فهو قضية منفصلة، وهو ما يعني عدم الثقة باللغة العربية والذي قد يؤدي على المدى البعيد إلى خسارة اللغة العربية وضياعاها. (زينب الغريبية، محمد هاشم الهاشمي وآخرون، ٢٠٢١، ص ٧٤: ٧٩) وهكذا صارت اللغة العربية تعاني مشكلات عديدة فقد حاربها المتربصون بها حتى زين لأولي الأمر وللمجتمع تبني هذا الاتجاه في التعليم، فالعصر عصر التكنولوجيا، وتم الاهتمام بالعلوم التجريبية بلغتها الأجنبية على حساب العلوم الإنسانية بلغتها العربية وما عرف هؤلاء أن العلوم التجريبية ذاتها سيضعف مستواها لأن الأساس في تعلمها وفهمها هو اللغة العربية، ومن ثم أصبحت اللغة العربية الآن تعاني الازدواج اللغوي أو المزج بينها وبين اللغات الأخرى مما يضعف كلاهما وهذا بدوره يؤدي إلى مشكلة تعليمية، فالطالب الذي يدرس في المرحلة الابتدائية لغات أخرى معها قبل أن يتقنها ينشأ مشوشاً وغير متقن لأي منهم وهذا هو الواقع الآن. (بليغ حمدي إسماعيل، ٢٠٢١، ص ١٣٩) وبذلك عملت حركات التغريب الثقافي على تهميش اللغة العربية الفصحى وإحلال اللغة العامية محلها تحت شعار التطوير واللاحاق بركب النهضة، فتلاشت اللغة العربية ولم يعد لها ذكر في حديث العامة وأصبحت تطرق فقط في المحافل والمناسبات الرسمية والهدف من هذا الطمس اللغوي هو انتزاع المثقف في تلك البلدان بعيداً عن لغته القومية التي هي أساس هويته وعقيدته.

سادساً: الانعكاسات التربوية للتغريب

لا شك أن لكل فكر دخيل على أي مجتمع أثاراً وانعكاسات قد تكون إيجابية وقد تكون سلبية ينتج عنها تداعيات عظيمة قد تكون سبباً في تأخر كثير من الأمم عن ركب الحضارة والتقدم، هذا بافتراض أن الفكر الدخيل عرض طارئ، أما إن اعتبر مرضاً قد تجذر في المجتمع ونال من كل شرائحه وخاصة شريحة الطلاب، فقد يتحول الأمر من مجرد تأخر أمة إلى انحدارها في هوة عميقة. فمن المعروف الآن في المجتمع المصري أن التعليم الثانوي والجامعي لا يخرج سوى موظفين أو حملة شهادة عاطلين ليس هذا فحسب، لكن ما لا يعرف وما لا يلتفت إليه أحد أن هذه المؤسسات تخرج أساساً متغربين وتنتج أفراداً كأنهم نقوش على ماء تمهد بهم أرضية مناسبة لترسيخ التغريب أكثر وهذا أكبر الأخطار (جلال آل أحمد، ٢٠٠٠، ص ٨١)، فمرآل التعليم في الأصل هي مراحل التجريب في الحياة واستيراد الأفكار البعيدة، وضم ما لا نعرف إلى ما نعرف والنظر في الجديد نظرة تلطف لا نظرة جمود، لترقية الإنسان، ثم هي وسائل العقل السليم لمعرفة الله والإيمان به والإفادة من دينه؛ غير أن الغزو الثقافي الحديث هجم بأفكار تغريبية قد تكون مألوفة في البيئات التي وفد منها

لكنها غير مألوفة للبيئات التي وفد إليها خاصة ما يتعلق بالهوية والعقيدة، هذه الفجوة المقصودة نتج عنها انعكاسات تربوية خطيرة على المؤسسات التعليمية منها: (محمد الغزالي، ٢٠٠٥، ص ٢٢)

١- ازدواجية التعليم: وتمثلت في مدارس التعليم الديني (الأزهري) التي تقتصر على العلوم الشرعية وما يتصل بها، ومدارس التعليم المدني التي تهتم بالعلوم الحديثة على النمط الغربي (سامي السهم، ٢٠٠٦، ص ١١٦)، وهذا من أعظم الأثار وأخطرها على التعليم؛ لأنه يجعل المنظومة التعليمية تعاني من الفصام الاجتماعي والفصام الشخصي لطلابها، حتى أصبح ترديد أفكار الغرب واعتماد دراساته في وضع الخطط والمناهج التربوية شيئاً عادياً بل ومطلوباً من قبل البعض، وقد ساعد ذلك على استيراد الأنظمة والمناهج التعليمية الغربية فأصبح التعليم مستورداً في غالبيته ولا يمت للواقع بصلة، وبذلك انعزلت مؤسسات التربية والتعليم عن المجتمع وقضايا ومشكلاته الحقيقية، فانتشرت آثار التغريب السلبية أكثر في العقل والثقافة العربية. (حسان عبدالله حسان، ٢٠٢١، ص ٤٦)

وقد أدت هذه الازدواجية المفروضة على التعليم إلى عزوف الناس عن التعليم الديني، ونشوء جيل من الأبناء الذين التحقوا بمدارس التعليم المدني مقطوعين الصلة عن مرجعيتهم الفكرية والثقافية العربية الإسلامية، كما أدت إلى إحداث شروخ خطيرة في الحياة الثقافية والفكرية بين هاتين الطبقتين، طبقة المتعلمين الذين تربوا في مدارس التعليم الديني والذين تربوا في مدارس التعليم المدني مما ساعد على انتشار التغريب وتغلغله أكثر. (علي بن عوض بن علي العمري، ٢٠١٣، ص ٢٠٤)

٢- الاهتمام بالكم في بناء المدارس دون الكيف: فالواقع التعليمي اليوم يزيد من حشود خريجي المدارس والجامعات بغض النظر عما قد يعانيه هؤلاء من الضعف والنواقص والتنوع التعليمي دون اتصال بالواقع، فهناك المدارس الأزهرية، والتعليم العام، واللغات، والتجريبية، والألمانية، والعسكرية، والفنية، والمهنية، وكلها في الواقع مدارس تخرج أنصاف متعلمين، فلا أحد يلمس ما هي مردودات ونتائج كل هذا التنوع في المدارس؟ إن التنوع بحد ذاته إذا كان بمعنى تشجيع القدرات والمдарك المختلفة لدى الطلاب فهو حالة إيجابية، لكنه الآن للأسف ضرب من الإهمال والعشوائية والنمو التلقائي، فطريقة التعليم في معظمها تختلف عن الأخرى في المناهج ولغات التدريس والأهداف العامة وضعف الارتكاز على الدين والتراث والتقاليد، فهي منفصلة تماماً عن الواقع. (جلال آل أحمد، ٢٠٠٠، ص ١٢٧: ١٢٩)، فكل منها له أهدافه وسياسته الخاصة التي تؤثر على النمو الخلقي والذهني للمواطن، فخريج التعليم الحكومي يختلف من حيث المهارة وإتقان اللغة والسمات النفسية والخلقية عن خريج التعليم الخاص واللغات والأجنبي، وهذه التعددية في نظم التعليم لها تأثيرها القوي على الهوية للفرد مما يؤدي إلى الاغتراب النفسي والاجتماعي وفقدان الانتماء والإحساس بالمساواة

والعدالة مع أقرانه داخل المجتمع الواحد، والنتيجة تخريج الألاف ممن ليس لديهم إيمان راسخ أو حيوية أو تطلعات مستقبلية فهم ليسوا سوى مجرد آلات طيعة لأفكار المتغربين ومناهجهم فقط. (علي بن عوض بن علي العمري، ٢٠١٣، ص ١٩٦)، وبذلك تحولت المدارس من بناء أفراد بنائين للمجتمع إلى تخريج متغربين ليس لهم أساس إيماني ولا طموحات إنسانية ولا حتى تقاليد، إنما هم أفراد يتخبطون في تقليد القشور والمظاهر والسلوكيات الغربية، وبخوضون في انحرافاتهم وشهواتهم لا يشغل ذهنهم نهضة مجتمعهم ولا ما آلت إليه أحوال بلادهم. (جلال آل أحمد، ٢٠٠٠، ص ١٤٥)

٣- علمنة التعليم وفصله عن الدين: وهو من أشد الانعكاسات على التعليم وأخطرها فحركة التغريب لا يمكن أن تتجه إلى هدفها من الطعن في الإسلام توجهاً حقيقياً إلا بالتحرر منه عن طريق عدة أمور أهمها فصل التعليم عن الدين حتى يعتقد المسلمون أن هذا الانفصال ضروري وشرط من شروط قيام الحضارة، حتى أصبحت معظم البلدان العربية اليوم علمانية في قوانينها وسلوكها وسياساتها وحتى الدول التي تتخذ الإسلام شعاراً لها هي في الواقع علمانية إلى حد كبير، وقد انعكس ذلك على التعليم مما أدى إلى نتائج سلبية كثيرة منها جهل الكثير من الطلاب بدينهم وتعرضهم للغزو الفكري بمنتهى السهولة عن طريق المناهج الدراسية، فأصابتهم الحيرة بين ما يتلقونه في البيت من مبادئ وقيم وأفكار إسلامية وبين ما يتلقونه في المدرسة من مبادئ وقيم وأفكار غربية مما قاد معظمهم إلى التغريب والتقليد الأعمى للغرب. (يزيد عيسى السورطي، ٢٠٠٣)، وقد نتج عن ذلك إهمال الطفولة في مدارس التعليم الأساسي وتركها للغزو الفكري والثقافي الغربي، ففقد التعليم القرآني دوره وفقدت التربية الإسلامية مكانتها في هذه المرحلة الخطيرة واهتمت بما قدم لها من القصص المصورة الجذابة ووسائل الترفيه المتنوعة وأفلام الأبطال الخيالية المستقاة من سلوكيات الغرب، وبهذه الطريقة استطاع الغرب اكتساح عقولها الغضة. (أنور الجندي، د.ت)، ص ٢٩

٤- إفساد المراجع والمصادر التي يرجع إليها الطلاب: والتي كان يعتمد عليها العرب في فهم عقيدتهم وتاريخهم وتراثهم، وذلك بسيطرة التغريبين على دوائر المعارف العالمية وإشاعة أفكارهم في أصول العقيدة وثوابتها، ومن ثم تضمنتها مناهج المدارس الوطنية فيما بعد وكذلك تضمنتها مناهج الأدب والتاريخ والفلسفة. (أنور الجندي، د.ت)، ص ٧٣: ٧٤، وما هذا التدمير الكامل للعقل العربي وتفرغ ما فيه من علوم ومعارف إلا تنفيذاً للمخططات التغريبية الهادفة إلى تشويه شخصية الأمة وإلباسها أقنعة مستعارة من الفكر والسلوك، والحق أن هذا التعليم جعل مثقفينا لا يشبهون أي مثقفين في أية أمة من الأمم، فهؤلاء يلتقون وبينهم قاسم مشترك من الثقافة تتصل بأصولهم

وحضارتهم، أما المثقفون العرب ففتشابه وجوههم وتختلف قلوبهم بفضل هذه المناهج التعليمية المفروضة عليهم. (شلتاغ عبود، ٢٠٠١، ٩٦)

٥- **اقتحام التكنولوجيا مجال التعليم دون تهيئة المؤسسات التعليمية:** في الوقت الذي يواجه فيه العالم عدة أزمات يواجه كذلك تقدماً علمياً وتكنولوجياً هائلاً له أثره الملموس على عمليتي التعليم والتعلم بواقعه الحالي، حيث يحتاج العالم اليوم ثورة جديدة من التقدم التكنولوجي المذهل والثورة المعلوماتية الفارقة هذه الثورة تتميز بكونها ذات طبيعة اقتصادية وتحولية أي أنها تقتحم المجتمعات سواء أكانت بحاجة إليها أم غير رغبة فيها، والعمل التربوي اليوم لا يقتصر فقط على نقل المعلومات من جيل إلى جيل بل شملت أيضاً استخدام الطرق والأساليب التكنولوجية لمسايرة التطور مما أدى لظهور أنماط وسياسات جديدة من التعليم كالتعليم المفتوح والتعليم عن بعد، فتضاعفت مسؤوليات المتعلمين والمعلمين الذين أصبح لزاماً عليهم التعامل مع كل هذا التطور التكنولوجي حتى أصبحوا وكأنهم في سياق مع الزمن. (محمد جمال، ٢٠٢١، ص ٣٣: ٣٤)

٦- **نشر اللغات الأجنبية على حساب اللغة العربية:** لقد نتج عن التخلف الثقافي والحضاري للأمة العربية في الآونة الأخيرة ضعف شديد في مكانة اللغة العربية ودورها، وقلة اهتمام أهلها بها وعجزهم عن إتقانها، وتناول عليها الكثير من المحسوبين على النخب المثقفة حتى تحولت إلى مجرد وسيلة للتعامل الروتيني بين الأفراد وبانت هيكلاً من هياكل التخلف ولم تعد قالباً للتواصل الحضاري ولا إطاراً للفكر الحي، بل وتم إخراجها من معظم مدارس التعليم كلغة تدريس للمعارف العلمية، وادعى البعض أن استخدام لغات الغرب المتقدم في تدريس العلوم لابد أن يقود إلى التقدم. (يزيد عيسى السورطي، ٢٠٠٣)

٧- **تطويع الأمة العربية للسيادة الغربية عن طريق الفنون:** وأنماط الأدب والعمل على ترويجها حيث يرى بعض المؤرخين والباحثين أن الزحف الأدبي والفني الأجنبي قد بلغ من عمله في تطويع الأمة العربية للسيادة الغربية حدّاً كبيراً، فقد أتاح الأدب الغربي للشباب اللذات الخيالية التي كان من نتيجتها أعظم الأثر في مجال التربية والأخلاق والتكوين النفسي والاجتماعي لأبناء الأمة العربية، فإن من حوّل هذه الفنون الغربية إلى عربية لم يغير فيها غير الأسماء ونقلها كما هي بما فيها من مشكلات غربية لم يكن للعرب عهد بها، وكان الغربيون يعالجون هذه المشاكل بأفكار ذاتية لأنهم لم يتفقوا على حل ملائم لها، بخلاف العالم العربي الذي كان يعتمد في حل مشكلاته على المنهج الرباني وبما لديه من مقومات أساسية دينية لكن الزحف الأدبي وحلوله أنساهم ذلك المنهج. (أنور الجندي، (د.ت)، ص ٩٢)

فقد آل التهاون في مواجهة حركات التغريب في فترات الضعف والانفتاح بدون تنقيح وبدون قيود إلى انعكاسات تربوية خطيرة نخرت في صلب العملية التعليمية تمثلت في ازدواجية التعليم ما بين التعليم الديني (الأزهري)، ومدارس التعليم (المدني) على النمط الغربي، فضلا عن الاهتمام بالكم دون الكيف فكثرت المدارس وتنوعت ما بين لغات وتجريبية وعسكرية وفنية ومعظمها في الواقع لا يبني سوى أنصاف متعلمين، ومنه أيضاً علمنة التعليم وفصله عن الدين واعتبار ذلك ضرورة وشرطاً من شروط التقدم والحضارة، والواقع هو إتاحة الفرصة للطعن في جوهر العقيدة الإسلامية، حتى يمكن غرس الثقافة الغربية ونظرياتها بسهولة وإن خالف بعضها العقيدة كنظرية "دارون"، وفي الوقت نفسه عملت حركات التغريب على إفساد المراجع والمصادر التي يرجع إليها الطلاب حتى لا يكون لهم مورد قوي لفهم عقيدتهم وتاريخهم الذي أقصوه وأثاروا الشبهات حول الأبطال الذين صنعوه، وعملوا على نشر اللغات الأجنبية على حساب اللغة العربية واخترقوا المجال الفني والأدبي ورسخوا لتطويع الأمة العربية لثقافة الغرب من خلاله، وأقحموا التكنولوجيا في مجال التعليم دون تهيئة المؤسسات التربوية، كل ذلك تسبب في إخلال العملية التعليمية بوظيفتها الأساسية في بناء جيل قويم من الطلاب تقوم عليهم نهضة البلاد وتقدمها فيما بعد.

سابعاً: الآليات المقترحة لتفعيل دور المدرسة لمواجهة التغريب أولاً: آليات على مستوى الدولة

- ❖ فتح المجال لعلماء الدين الأكفاء ذوي العلم والخبرة والحكمة للتفاعل بين الناس وتنمية الوازع الديني لديهم لضبط سلوكهم وأفكارهم وثقافتهم ذاتياً، والحد من انسياقهم وراء الأفكار التغريبية الضالة، وذلك بتقوية دور علماء الأزهر الشريف لإحياء الثقافة الدينية والروح العربية الإسلامية في نفوس أفراد المجتمع، وتقليل حدة التأثير الثقافي الغربي المتناقض مع الثقافة العربية.
- ❖ فتح المساجد للحوار والمناقشة وتهيئتها لتلقي شكاوى الأفراد وعرض القضايا النفسية والاجتماعية لحلها وعلاج الأحداث المطروحة في الواقع الاجتماعي سواء أكانت سلوكية أو تربوية أو اقتصادية أو اجتماعية أو حتى سياسية والأخذ برأي العلماء فيها طبقاً لما قرره الشريعة، فالمساجد ليست للعبادة فحسب وإنما هي أماكن لبناء أفراد المجتمع وتقوية شخصيتهم في كل الجوانب وهي حائط صد ضد أي أفكار تغريبية هادمة.
- ❖ ربط الدين بالدنيا وربط الدنيا بالآخرة في نفوس الأفراد عن طريق إعلاء قيمة مراقبة الله (Y) في كل أقوالهم وأفعالهم وحركاتهم وسكناتهم، لتحقيق التوازن النفسي والروحي لهم وذلك بالحرص على تغذية الروح والعقل بتحصيل المعارف والأفكار الصحيحة بدلاً من الانبهار بالثقافات الغربية المضللة.

- ❖ تكوين هيئة من كبار العلماء في جميع التخصصات لمواجهة الشبهات الغربية والرد عليها، وإعطائهم الصلاحية بقبول ورفض الأفكار الغربية وتحذير المجتمع منها، مع تحقيق المشاركة الفعالة بينهم وبين مؤسسات المجتمع للتأكيد على دور الدين في إثراء الحضارة المعاصرة وإعلاء قيمة الاعتزاز بالنفس والهوية.
- ❖ استغلال وسائل الإعلام بكل أشكالها في نشر الثقافة العربية من خلال علماء حقيقيين، وتخصيص برامج ثابتة هدفها كشف خطط وأهداف التغريب وتحذير شباب الأمة من الانسياق ورائها، مع تقييد سيطرة المغربين عليها وكشف رموزهم في الغرب وداعميهم في الشرق، ورصد وتحجيم دورهم سواء أكانوا أفراداً أم جماعات، ومواجهتهم بالفكر والمنطق والعقل؛ حتى يحترس أبناء المجتمع من النقل عنهم وتصديق ادعاءاتهم.
- ❖ تكليف وزارة الأوقاف بالعمل على إحياء الهوية العربية بكل مكوناتها وعناصرها وإعادة نشر التراث العربي الحقيقي بعد تنقيته من كل تشويه وافتراء؛ ليكون في مواجهة الغزو الثقافي الغربي وتقديم ذلك من خلال المساجد والخطب والندوات والمحافل وغيرها.
- ❖ الاهتمام بقضايا المرأة من منظور ديني وليس من منظور مصطلح حقوق المرأة الغربي بكل تجاوزهاته، لأن المرأة أم المجتمع وهي من تضع البذور الأولى التي ينبنى عليها عقل الإنسان وفكره، عن طريق توعية الوالدين بطريقة التربية السليمة لأبنائهم خاصة الإناث لتحسينها من سهام التغريب، فهي المقصودة في المقام الأول من قبل حركات التغريب، فإن هي تحصنت أنجبت جيلاً قوياً ليس من السهل خداعه، وعن طريق مؤسسات متخصصة لتكون التربية السليمة حصناً من الانسياق وراء التقليد الأعمى للغرب.
- ❖ إحياء وظيفة المجمع اللغوي في كشف المعاني الخفية للمصطلحات الغربية المعاصرة وتوضيح مدى تناقضها مع المصطلحات العربية الأصيلة؛ حتى لا يرددها أبناء العرب ويطالبون بتطبيقها دون وعي.
- ❖ التقليل من فرص ابتعاث الطلاب قبل مرحلة التعليم الجامعي، فمعظم هؤلاء يذهبون طلاباً بثقافة عربية غير ناضجة يسهل محوها ويعودون محملين بالفكر الغربي، ثم يؤسسون لدولة غربية في عقر أوطانهم العربية.
- ❖ وضع المؤسسات التربوية على قائمة الاهتمام فهي التي تخرج أجيال المستقبل من معلمين وأطباء ومهندسين وقضاة ... إلخ، وذلك بحل مشكلات التعليم الخاصة بالبيئة المدرسية والمناهج الدراسية

وسد عجز المعلمين والكثافة الطلابية، فذلك كله يورث السخط في نفوس الطلاب ويدفعهم لتمني حياة الغرب.

❖ حل مشكلات الشباب النفسية والاجتماعية والاقتصادية فهي أهم دعائم التغريب، خاصة مشكلة البطالة وأوقات الفراغ؛ مما يغرقهم في هوة ما يقدمه الغرب من أفكار وثقافات تشوه هويتهم ومن ثم تدفعهم للهجرة فتتعمق غربتهم أكثر وأكثر.

❖ مواجهة انحرافات المجتمع في شتى مجالات الحياة خاصة السلوكية والتربوية والأخلاقية، التي تلقاها عن طريق ما يقدمه السطحيون باسم الفن، وذلك بوضع حد لما يقدمونه من عروض فنية منقولة عن الغرب تخالف العادات والتقاليد وتشوه التاريخ والتراث مما ينتج عنه تمجيد الحضارة الغربية واحتقار الذات العربية.

❖ سد الطرق والأبواب أمام الثقافات الغربية المتناقضة مع الهوية العربية، عن طريق التعامل بحزم مع كل ما يتناقض مع عادات المجتمع وتقاليد ويمس ثوابته، ويضعف شخصيته خاصة في ظل الانفتاح الثقافي الذي لا يمكن إيقافه ، وإن وصل الأمر إلى وضع بعض الزواجر والعقوبات المناسبة.

❖ الاهتمام بمصادر المعرفة والتي يجب أن تكون مصادر مشنقة من العقيدة الربانية أو السنة النبوية أو بعض الاجتهادات التي لا تخرج عن كليهما؛ لأنها الأمل في تطوير الحياة الاجتماعية في ظل التحديات المعاصرة للحفاظ على الهوية في ظل الانفجار المعرفي والخلل الروحي.

ثانياً: آليات على مستوى المدرسة

❖ هيكلة المناهج وربطها بالدين وتنقيتها من كل ما يقلل من شأن الهوية العربية ويعلي ويمجد الحضارة الغربية.

❖ وضع مناهج تحيي التراث العربي والثقافة العربية، وتقديم شخصيات عربية يقتدي بها الطلاب.

❖ إحياء السيرة النبوية وقصص الأنبياء وسيرة الصحابة وسيرة العلماء العرب وتاريخهم.

❖ إيضاح أن ما وصل إليه الغرب من تقدم كان مبنياً على الثقافة العربية بجميع مجالاتها.

❖ إثراء المكتبة المدرسية بكتب التراث العربي بعد تنقيتها وتنقيحها من كل تشويه وكذب وضلال.

❖ تفعيل الأنشطة الطلابية التي تحيي القيم والهوية وتشغل أوقات فراغ الطلاب بالنافع المفيد.

❖ توعية المعلمين بخطورة التغريب ونقل هذا الشعور لطلابهم من خلال الأنشطة الصفية.

❖ بيان أثر التغريب السيئ على واقع الناس وضرب الأمثلة الفردية والعامة من واقع المجتمعات الأخرى.

- ❖ تنمية القيم الدينية والاجتماعية والأخلاقية لتعميق انتماء الطلاب لأمتهم الإسلامية.
 - ❖ إنهاء الازدواجية في التعليم، وإعطاء المتعلم حصيلة متوازنة من العلوم الثقافية والشرعية.
 - ❖ الاهتمام باللغة العربية ووضعها في مكانها الطبيعي كلغة للدين، ولغة رسمية للأمة العربية.
 - ❖ وقف تدريس اللغات الأجنبية في المرحلة الابتدائية؛ فذلك يشنت الطلاب ويضعف ملكة اللغة العربية لديهم.
 - ❖ وضع حد للصراع القائم بين القيم العربية الأصلية والقيم الغربية الوافدة بالعودة إلى جذور الهوية ومصادرها الدينية الصحيحة مما يضع الطلاب على الطريق القويم.
 - ❖ بناء الشخصية الذاتية للطلاب بناءً إيمانياً يشمل جميع جوانب شخصيته النفسية والعقلية والروحية والجسدية.
 - ❖ تأصيل القيم الدينية والأخلاقية والاجتماعية لدى التلاميذ حتى لا تتعرض هذه القيم إلى الاهتزاز والضياح ويضيع على إثر ذلك المجتمع فيتعرب وتهتز هويته.
 - ❖ إثراء الجانب الأخلاقي للطلاب فهذا الجانب يعتبر عاملاً أساسياً؛ لتحسين علاقاته الاجتماعية من خلال الأنشطة والمجالس الطلابية المفعلة والندوات والمحاضرات التي تعمل على رفع مستوى الوعي الديني والثقافي والاجتماعي والعمل.
 - ❖ ربط المناهج بالحياة الثقافية للطلاب وحثهم على التبحر في علوم القرآن والحديث والإعجاز العلمي، فتنمي لديهم ملكة كشف التزوير الغربي لتاريخهم وحضارتهم.
 - ❖ تنمية القيم الاجتماعية ونشر السلام والمحبة بين الطلاب، مما يقوي هويتهم الدينية والاجتماعية.
 - ❖ ربط المناهج بالحياة السياسية لإظهار الحد الفاصل في كيفية التعامل مع دول الغرب وحدود النقل عنهم.
 - ❖ ربط الحياة الاقتصادية بموضوعات الدراسة لتحقيق الاكتفاء الذاتي الطلابي في سن مبكر مع تبصيرهم بأن بعض التعاملات الغربية في باطنها تخالف الهوية الدينية وتعتبر في حكم الدين كسباً حراماً يجب تجنبه.
 - ❖ ضبط الواقع المدرسي والاهتمام الإيجابي بقضايا الطلاب وتفهم مشكلاتهم النفسية والاجتماعية ومساعدتهم في تخطيها قبل الاستغراق فيها أو الانسياق لمظاهر الغرب المادية.
- تعقيب**

التغريب حركة ليست وليدة الآن بل هي حركة قديمة ولها جذور عميقة منذ عشرات السنين وأكثر، فهي مرض من الأمراض العارضة التي وفدت على المجتمع من الخارج ثم نمت في بيئة مستعدة

للإصابة لأسباب داخلية وخارجية، ولهذه الحركة طرفان أحدهما الغرب من الخارج والآخر المتغربين في الداخل، والمتتبع لحركة التغريب الثقافي يجد أن الفكر الغربي في الوطن العربي انطلق في البداية بأمر يسيرة في ظاهرها تتعلق بقضايا العدل والحرية والمساواة وحق التعليم والعمل وغيرها، ثم لم يمضِ قرن من الزمان وتحت ذات التأصيل اجتمع المغربون وأقروا مسائل منافية للقيم والعادات والتقاليد العربية، ثم تطوروا أكثر فطرحوا قضايا تتناقض مع العقيدة، ومنها إلى قضايا تنتهك كرامة الإنسان وأدميته وتتنافر مع الفطرة صلب الإنسانية وجذورها، وبهذا البرنامج تدريجيًا نجحت في تحطيم العلاقات الأسرية والاجتماعية بعد أن تبدلت الفطرة ومسخت وفسدت، حتى أصبح بعدها من الصعب استيعاب معظم مبادئ الشريعة وصارت الدعاوى التغريبية تكفل وبكل حرية ما يناقض أحكامها، ووجدت في ذلك داعمين صنعتهم على عينها، بهدف وحيد هو إحلال الثقافة الغربية محل الثقافة الشرقية لدى المجتمعات العربية وخاصة الطلاب شباب الأمة وأملها.

المراجع

أولاً: المراجع العربية

- (١) أحمد عيسى سعيد كردي، مفهوم التغريب ومراحل تطوره في دراسات عربي، جامعة عين شمس، كلية البنات للآداب والعلوم والتربية، مجلة البحث العلمي في الآداب، ع١٢، ج٣، ٢٠١١، عزمي بشارة، الدين والعلمانية في سياق تاريخي: ج٢، م١، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، ٢٠١٥.
- (٢) أحمد مختار عمر وآخرون، معجم اللغة العربية المعاصرة، مج ١، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٨.
- (٣) أسماء منصور جاد عبدالرحمن، دور المؤسسات التربوية تجاه بعض قضايا التغريب الثقافي في المجتمع المصري، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة سوهاج، مصر، ٢٠٠٧.
- (٤) أنور الجندي، الثقافة العربية المعاصرة في معارك التغريب والشعبوية، موسوعة الفكر العربي المعاصر، مطبعة الرسالة، لبنان، (د.ت.).
- (٥) أنور الجندي، شبهات التغريب في غزو الفكر الإسلامي، المكتب الإسلامي، دمشق، ١٩٧٨.
- (٦) أنور الجندي، قضايا إسلامية معاصرة: أهداف التغريب في العالم الإسلامي، الأمانة العامة للجنة العليا للدعوة الإسلامية بالأزهر الشريف، القاهرة، (د.ت.).
- (٧) المرزوقي على الهادي، الغزو الثقافي الغربي: أسبابه ومخاطره ونتائجه، مجلة كلية التربية، الجامعة المفتوحة، ليبيا، ع١٢، نوفمبر، ٢٠١٨.

- ٨) برتران بادي، الدولة المستوردة (تغريب النظام السياسي)، نقل: لطيف فرج، مراجعة: عومرية سلطاني، مدارات للأبحاث والنشر، مصر، ٢٠١٧.
- ٩) بشر بن فهد البشر، أساليب العلمانيين في تغريب المرأة المسلمة، دار المسلم، الرياض، ١٩٩٤.
- ١٠) بليغ حمدي إسماعيل، البحث العلمي العربي: هوامش وملاحظات، وكالة الصحافة العربية، مصر، ٢٠٢١.
- ١١) بندر مسفر مداوس الشمراني، دور المرأة المسلمة في حماية المجتمع من التغريب، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، كلية الدعوة وأصول الدين، السعودية، ٢٠١٤.
- ١٢) بوجمعة وعلي، اللغة العربية والتنمية: الميسرات والمعوقات، Kutub Ltd، لندن، ٢٠١٨.
- ١٣) جاسم بن محمد بن المهلهل الياسين، الهوية الإسلامية، الهوية الإسلامية، مؤسسة السماحة، الكويت، ٢٠١٢.
- ١٤) جلال آل أحمد، نزعة التغريب، ترجمة: حيدر نجف، مؤسسة الأعراف، طهران، ٢٠٠٠.
- ١٥) جميل عبدالله محمد المصري، حاضر العالم الإسلامي وقضايا المعاصرة، العبيكان، الرياض، ١١، ٢٠١٨.
- ١٦) حذيفة عبود مهدي السامرائي، التغريب الثقافي آثاره وسبل مواجهته، مجلة العلوم الإسلامية، جامعة تكريت، م ١٠، ع ٣، ٢٠١٩.
- ١٧) حسن طالب جنزي، وصفي فالح عبيد، ثقافة الطفل بين الهوية والغزو الثقافي، مجلة الكلية الإسلامية الجامعة، الجامعة الإسلامية، مج ٩، ع ٢٨، تشرين الأول، ٢٠١٤.
- ١٨) حسان عبدالله حسان، الجامعة الحضارية: مفهومها ووظائفها ومتطلباتها، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة الأمريكية، ٢٠٢١.
- ١٩) زغلول النجار، نظرات في أزمة التعليم المعاصر وحلولها الإسلامية، مكتبة وهبة، القاهرة، ٢٠٠٦.
- ٢٠) زينب الغريبية، محمد هاشم الهاشمي وآخرون، التحولات الاجتماعية في دول الخليج العربية: الهوية والقبلية والتنمية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، ٢٠٢١.
- ٢١) زيد بن محمد الرماني، المرأة المسلمة بين الغزو والتغريب، دار الصميعي، الرياض، ٢٠٠١.
- ٢٢) سامي السهم، تغريب الفكر المصري الحديث (من ثقافة النقل إلى ثقافة العقل)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٦.
- ٢٣) شلتاغ عبود، الثقافة الإسلامية بين التغريب والتأصيل، دار الهادي، لبنان، ٢٠٠١.
- ٢٤) صلاح عبدالقادر البكري، الاتجاهات الجديدة في سياسة التعليم، دار الوفاق، الرياض، ٢٠٢١.

- ٢٥) طه حسين، مستقبل الثقافة في مصر، دار المعارف، مصر، ط٢، ١٩٣٨.
- ٢٦) عبدالعزيز بن أحمد البداح، حركة التغريب في السعودية: تغريب المرأة أنموذجاً، المركز العربي للدراسات الإنسانية، القاهرة، ٢٠١٠.
- ٢٧) علي بن عوض بن علي العمري، تصور مقترح لتفعيل دور الجامعات السعودية في مواجهة التغريب التربوي، المجلة العربية للعلوم الاجتماعية، المؤسسة العربية للاستشارات العلمية وتنمية الموارد البشرية، ع٤، ج٢، يوليو، ٢٠١٣.
- ٢٨) فتحي سباق أبو سمرة عابد، انحرافات الحداثيين في تفسير آيات الأحكام عرض ونقد، دار اللؤلؤة، مصر، ٢٠٢١.
- ٢٩) فريد محمد أمعشوش، التغريب مفهومًا وواقعًا، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مجلة الوعي الإسلامي، ع٥٥٣، أغسطس، ٢٠١١.
- ٣٠) كمال التابعي، تغريب العالم الثالث: دراسة نقدية في علم اجتماع التنمية، القاهرة، ١٩٩٨.
- ٣١) كمال محمد جاهد الله، الغزو الثقافي وأثره على الأمة الإسلامية: دراسة مدخلية، مجلة المنير، هيئة علماء السودان، ع٤، مارس، ٢٠٠٨.
- ٣٢) لمياء طالة، الإعلام الفضائي والتغريب الثقافي، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠١٤.
- ٣٣) مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز، دار التحرير للطبع والنشر، القاهرة، ١٩٨٩.
- ٣٤) مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٨.
- ٣٥) محفوظ علي عزام، التغريب وتجديد الهوية، المؤتمر الدولي: مناهج التجديد في العلوم الإسلامية والعربية، رابطة الجامعات الإسلامية، جامعة المنيا، كلية دار العلوم، ج٣، ٢٠٠٥.
- ٣٦) محمد الغزالي، ظلام من الغرب، نهضة مصر، القاهرة، ط٤، ٢٠٠٥.
- ٣٧) محمد جمال، آفاق الدراسات المستقبلية في التعليم: ملامح مدرسة المستقبل، وكالة الصحافة العربية، القاهرة، ٢٠٢١.
- ٣٨) محمد حامد الناصر، العصرانيون (بين مزاعم التجديد وميادين التغريب)، مكتبة الكوثر، الرياض، ط٢، ٢٠٠١.
- ٣٩) محمد عبدالعزيز عرموش، مصر والمصريين: قراءات وتأملات في تاريخ مصر وأحوالها، A G Printing & Publishing، القاهرة، ٢٠٢١.
- ٤٠) منال مصباح رمضان الريان، التغريب: مخاطره، وسبل مواجهته في ضوء الواقع الفلسطيني المعاصر، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية (غزة)، كلية أصول الدين، فلسطين، ٢٠١٣.

٤١) ناصر عبدالكريم العقل، حراسة العقيدة، العبيكان، الرياض، ٢٠١١.

٤٢) نفوسة زكريا سعيد، تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر، دار المعارف، مصر، ١٩٦٤.

٤٣) هـ. ا. ر. جب وآخرون، ترجمة: محمد عبدالهادي أبوريدة، وجهة الإسلام (نظرة في الحركات الحديثة في العالم الإسلامي، المطبعة الإسلامية، القاهرة، ١٩٣٤.

٤٤) يزيد عيسى السورطي، التغريب الثقافي وانعكاساته التربوية والتعليمية في الوطن العربي، المجلة العربية للتربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - إدارة التربية، مج ٢٣، ع ١، يونيو، ٢٠٠٣.

ثانياً: المراجع الاجنبية

1) G. E. Von Grunebaum, Modern Islam The Search For Cultural Identity, Univ Of California Press, 2021.

2) Rana Zamin Abbas, Muhammad Amin, Zulfqar Ahmad, Muslim Response to Modernity and a new strategy of peace in the world, Institute of Interdisciplinary Business Research, VOL 2, NO 9, JANURAY, 2011.

3) Volk, Lucia, Education between Globalisation and Local Culture: A World without Frontiers for Students without Traditions, Apr-9, 2000.